

تراث اليمـن الفكري العربي الإسلامي

في القراءات المعاصرة

أ.م.د. سعد إبراهيم العلوي

ملخص :

هدف البحث إلى دراسة وتحليل المعرفة المنتجة من القراءات المعاصرة للتراث الفكري العربي الإسلامي في اليمن، ورصد إنعكاساتها على مسألة إنتاج معرفة موضوعية وتكوين وعي موضوعي بتراث وتاريخ اليمن الفكري، وتبيان مدى قدرتها على تغيير منظومة الوعي وبنية الواقع الثقافي والفكري اليمني الراهن. وتوقف البحث أمام كلاً من القراءة المقارنة والقراءة الإنتقائية، وتوصل إلى أن المادة المعرفية التي أنتجتها تناقضت مع المحتوى المعرفي ومع السياق التاريخي - الاجتماعي واللغوي الخاص بالنصوص التراثية، ومع المواقف الفكرية والعملية لمنتجها.

وكشف البحث عن أزمة تعيشها القراءات المعاصرة للتراث الفكري العربي الإسلامي في اليمن. وهي عبارة عن أزمة منهج أفضت بدورها إلى أزمة إنتاج معرفة موضوعية وتكوين وعي موضوعي بتراث وتاريخ اليمن الفكري. وتعتز تلك القراءات في استثمار التراث بهدف إعادة تشكيل وتغيير الواقع الثقافي والفكري والاجتماعي التقليدي اليمني الراهن .

Yemeni Intellectual and Cultural Heritage in Modern Readings An Abstract

Dr. Saad Al –Alawi*

The research aims to study and analyze the knowledge that produces the modern readings of the intellectual Arabic and Islamic heritage in Yemen and examines its influence on the production of objective knowledge and shaping objective understanding of the heritage and of the history of the Yemeni thought, explaining the extent of its capabilities of changing public opinion and the current Yemeni cultural and ideological reality.

The research also examines both the comparative reading and the selective readings and concludes that the cognitive habits that were produced by these readings contradicts the cognitive, historical, social, linguistic content of the practical and intellectual views of those who adopted such views.

The research also discovers the problems of modern readings of the Arabic Islamic intellectual heritage in Yemen. The research indicates that this problematic reading is a consequence of a crisis of doctrine resulted in a crisis of producing an objective knowledge and failed to shape an objective understanding of the heritage and history of the Yemeni thought and the incapability of those readings of using the heritage to reshape and change the cultural, cognitive, social traditional reality in modern Yemen.

*أستاذ تاريخ الأفكار المشارك، عميد كلية التربية والآداب والعلوم ، مأرب، جامعة صنعاء.

مقدمة

تُعد مسألة الاهتمام بتراث اليمين الفكري العربي الإسلامي وإحياءه والإنتاج العلمي حوله ، من المسائل الأكثر حضوراً في الواقع الثقافي والمعرفي اليمني الراهن .(١)

ومنذ العقد الثامن من القرن التاسع عشر الميلادي . وهي الفترة التي شهدت البدايات الأولى للاهتمام بتراث اليمين الفكري وتحقيق ونشر وطباعة مخطوطاته على أيدي مجموعة من المستشرقين الأوروبيين ، ووصولاً إلى اللحظة التاريخية الراهنة . فقد تكوّن نتاج فكري متنوع ، يتوزع بين دراسات وأبحاث وتحقيقات ورسائل علمية (٢).

ولقد تعدّدت وتباينت القراءات المعرفية المتصلة بتراث اليمين الفكري العربي الإسلامي . وكان لكل قراءة خطابها المعرفي والإيديولوجي المعبر عن رؤيتها وموقفها من مسألة إحياء وإنتاج المعرفة حوله . الأمر الذي أنعكس بدوره على مسائل عدة ومن بينها : مسألة تكوين الوعي بالتراث وتاريخ اليمين الفكري ، ومستوى المعرفة المنتجة وطبيعتها . وتأثير ذلك على قضية تشكيل سياق ثقافي ملائم يساعد على نشأة وبلورة وعي اجتماعي حديث ، يساهم في عملية النهوض بأوضاع المجتمع اليمني ، والانتقال بها من طور التخلف إلى طور التقدم والتحديث والتغير الاجتماعي .

في ضوء ما سبق فقد تبادرت إلى الذهن مجموعة من الاسئلة وهي : هل هناك علاقة تجمع بين ما يجري في الواقع الاجتماعي والفكري اليمني الراهن ، من توزيع وتنوع في الفئات الاجتماعية والقوى السياسية والفكرية ، ومن تناقض في المصالح والإهتمامات . وبين هذا التنوع في الخطاب المعرفي والإيديولوجي لمناهج قراءة تراث اليمين الفكري ؟ أم أن المسألة تبدو وكأنها مسألة ثقافية - معرفية بحثة لا صلة لها بما يجري في الواقع المعاش ؟

وفي إطار العلاقة بين سؤال التراث وسؤال الواقع : ما دور المعرفة المنتجة وانعكاساتها على قضية تكوين وعي موضوعي وعقلاني بالتراث وبتاريخ اليمن الفكري، وعلى مسألة إعادة تشكيل وتغيير بنية الواقع الثقافي والإجتماعي التقليدي اليمني الراهن ؟

وما موقع السياقات التاريخية والثقافية - المعرفية والإجتماعية ودورها من مسألة إحياء ونشر تراث اليمن الفكري ؟

إن الاسئلة المومأ عنها أعلاه وما تثيره من قضايا وإشكاليات ذات أبعاد فكرية وإجتماعية وتاريخية، ستكون مدار بحث وتحليل وتفسير ونقد من قبلنا. مستثنين في ذلك إلى المنهج التاريخي للوقوف أمام السياقات التاريخية والمعرفية والإجتماعية ودورها في نشؤ مسألة إحياء تراث اليمن الفكري. بالإضافة إلى منهج التحليل السوسيو-معرفي لتحليل المعرفة المنتجة من القراءات المعاصرة، والوقوف أمام مظاهر تعددها وتباينها ورصد انعكاساتها على قضية تشكيل سياق ثقافي ملائم يساعد على نشأة وبلورة وعي إجتماعي حديث يدفع بإتجاه إصلاح الواقع السوسيو-ثقافي اليمني الراهن وتغييره .

من هنا فإن موضوع الدراسة يمثلك أهميته العلمية كونـه أولاً : من الموضوعات التي تمتلك صفة الريادة في ميدان الدراسات السوسيو-معرفية في اليمن ، وفي حقل تاريخ الأفكار على وجه الخصوص . وثانياً : يندرج في إطار الوظيفة المنتجة المناطة بهذا العلم ، ودوره في تخفيف أو معالجة المشكلات التي يعاني منها الواقع الإجتماعي اليمني الراهن . ومن بينها قضايا التعصب المذهبي ، وهيمنة الوعي التقليدي العصبوي الأصولي ، وضعف التفكير النقدي ، ومحدودية تأثير ثقافة التنوير في المجتمع . وكون القضايا التي يثيرها موضوع الدراسة لا زالت امتداداتها قائمة ولها تأثيراتها المباشرة على الوعي والمجتمع .

أولاً: في مفهوم التراث الفكري والمقصود بتراث اليمن الفكري العربي الإسلامي .
التراث في اللغة : إسم من الفعل " ورث - يرث - يرثاً " . أي ما يخلفه الرجل
لورثته وأصله ورث أو وارث . وأبدلت الواو تاءً . هكذا قال ابن منظور : الورث
والميراث في المال والإرث في الحساب (٣).

غير أن التراث يحمل أيضاً في العربية معنى الأثر من فعل أرث . أي : أوقد ناراً
ولقد وردت كلمة " التراث " في القرآن الكريم مرة واحدة بمعنى الميراث في الآية
الكريمة " وتأكلون التراث أكلاً لما " (الفجر ١٩) . والمعنى تأكلون الميراث أكلاً شديداً لا
تسألون أمن حلال هو أم من حرام .

وهكذا فإن كلمة التراث في لغة العرب تعني الميراث . وهو يشمل المال والأحساب .
وقد وردت في القرآن للدلالة على الميراث الديني والثقافي كما في الآية الكريمة :
يرثني ويرث من آل يعقوب " (مريم ٦٠) . فإنه يعني وراثته النبوة والعلم والفضيلة دون
المال . وكذلك قوله تعالى : " ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم
لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكثير "
(فاطر: ٣٢) . فالمقصود هنا وراثته الاعتقاد والإيمان بالكتب المنزلة قبل القرآن . (٤)

من هنا يتبين لنا أن التراث في لغة العرب معناه الميراث ، وأنه يطلق على وراثته
المال والحسب والعلم والعقيدة .

أما تعريف التراث الفكري كمفهوم بالمعنى الذي أعطي له في الأدبيات والكتابات
العربية التي ظهرت منذ أواخر القرن التاسع عشر الميلادي مع ظهور الطباعة
والإتصال بالغرب الأوروبي فهو يعني : الموروث الثقافي والمادي والفكري في الحضارة
العربية الإسلامية . وهو مرتبط بالماضي وإنجازاته الإبداعية والمعرفية . ويوجد معنى
ثان غير موضح للتراث ، وهو أنه " التقليد (Tradition) المحتفظ به ليس فقط في
المكتبات ، ولكن بالخصوص في أعماق الحضارة العربية أي-في الذهنيات والسلوكيات
والإنتماء والهوية والمعتقدات .. " (٥).

وبالنسبة لمفهوم التراث الفكري فهو كل المدونة الثقافية باللغة العربية من شعر ،
وأدب ، وفقه ، وتاريخ ، وجغرافيا وفلسفة . وبصفة دقيقة الموروث العتيق الكلاسيكي
من الجاهلية إلى القرن الثامن عشر الميلادي . فالتراث الفكري هو المكتبة العربية لكل
الثقافة العربية الإسلامية . وهو خلافاً للمعرفة التاريخية يغذي العقل والحواس والهوية .

وينطوي على إعراف ضمنى بمسافة زمنية وبتماء ثقافي ويدخل في الرصيد الشعوري والذهني للفرد . (٦)

والمقصود بتراث اليمين الفكري العربي الإسلامي هو : الموروث الفكري والثقافي والذي يشمل الإنتاج الفكري والعلمي المتنوع لمئات من المفكرين والعلماء اليمينيين منذ القرن التاسع الميلادي وحتى الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادي . وهو تراث ضخم يضم عشرات الآلاف من المخطوطات التي اشتملت على مصنفات في مختلف العلوم والمعارف ومنها: علوم القرآن ، الحديث ، الفقه وأصوله ، علوم اللغة وآدابها من النحو والصرف والشعر ، وعلوم الفلسفة والمنطق والتاريخ والجغرافيا ، وعلوم الفلك والرياضيات ... الخ .

كما أن تراث اليمين الفكري العربي الإسلامي ليس الأعمال الفكرية وحدها . وإنما ما يحتويه ذلك التراث من مدارس وفرق واتجاهات وتيارات فكرية . وما شهدته من اختلافات وتعارضات بين ممثلي تلك الفرق والتيارات (٧). وهو جزء لا يتجزأ من التراث الفكري العربي الإسلامي . بل أنه جزء أصيلاً له حضوره وتأثيره في تاريخ الفكر العربي الإسلامي، من خلال الأعمال الفكرية لرموزه وأعلامه أمثال : أبو محمد الحسن الهمداني (٨٩٣-٩٧٠م) (٨) صالح بن مهدي المقبلي (١٦٣٧-١٦٩٦م) (٩) ، أبو الحسن الجلال (١٦٠٤-١٦٧٣م) (١٠) محمد ابن الأمير (١٦٨٨-١٧٦٩م) (١١)، محمد بن علي الشوكاني (١٧٦٠-١٨٣٤م) (١٢) وغيرهم العشرات ..

وهناك ما يميز تراث اليمين الفكري . وهو أنه في عصر تدهور الفكر العربي الإسلامي ، وخصوصاً بعد أن أغلق باب الإجتهد في القرن الرابع الهجري . ظلت الحياة الفكرية والثقافية في اليمين مزدهرة وشهدت حراكاً فكرياً وإنتاجاً معرفياً ضخماً ومتنوعاً مقارنة بالمراكز العلمية العربية الأخرى كمكة والمدينة المنورة وبغداد والقاهرة . (١٣)

ثانياً : سياقات الانشغال بمسألة احياء ودراسة تراث اليمن الفكري العربي الاسلامي

تجمع معظم الدراسات المرتبطة بمجال التراث وتاريخ الفكر على ان نشأة وتبلور سؤال التراث الفكري العربي الاسلامي في الفكر العربي الحديث والانشغال به إرتبط بشرط تاريخي يتمثل بحالة الاصطدام بالغرب الاوربي الاستعماري (الحملة الفرنسية ١٧٩٨ م) والتي كشفت عن ما آلت اليه اوضاع العرب من تخلف طال البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، ومن تأخر تاريخي . وما وصل اليه الغرب الاوروبي من تطور وتقدم اجتماعي ، وما بلغه من نهضة علمية وحضارية . وهو ما دفع بالنخب الفكرية العربية وقتها الى التفكير والنظر وعقد المقارنات وطرح الاسئلة مثل : لماذا تقدم الغرب الاوروبي وتأخر المسلمون ؟ وكيف نتقدم كعرب ومسلمين ؟ وكيف نحقق نهضتنا ؟ وكيف يمكن مواجهة التحدي الأوروبي بثوراته المعرفية والإقتصادية وتحولاته الإجتماعية ؟ ما الوسائل التي تساعدنا على ذلك ؟ هل من خلال الإندماج في نموذج الحضاري ؟ وماذا عن الموروث الثقافي والحضاري العربي الإسلامي ؟ هل المعارف والعلوم التي يحتويها التراث كافية لمواجهة ذلك التحدي ؟

لقد طرحت هذه الاسئلة مسائل متصلة بالهوية والماضي والتاريخ والتراث. لذا نجد أن اوائل مفكري عصر النهضة العربية قد إنطلقوا في مواجهتهم للتحدي الثقافي والحضاري الأوروبي ، وفي مفهومهم للنهضة من منظور الإتصال والتواصل بالتراث . وطرحت قضية التراث الفكري في صيغة "إستعادة شاملة لما أنتجه أسلافنا من معارف في مختلف ميادين المعرفة. وكانت هذه الإستعادة تتضمن إفتراض قدرة المعارف التي أنتجها أسلافنا على الإستمرار في حيويتها، وعلى مساعدتنا عند الإستناد إليها على حل المشكلات السياسية والإجتماعية الراهنة ، ولمواجهة مفاهيم الفكر السياسي والإجتماعي الأوروبي الحديث " (١٤)

لا ريب أن صيغة العلاقة مع التراث الفكري والموقف منه ، ومن مسألة إحياءه ، كما عبّرت عنه الفقرة أعلاه ، لم تيمّ دفعة واحدة . ولكنها مرّت عبر مراحل مهتّت كل واحدة منها للأخرى . حيث اتخذت المرحلة الأولى صوراً من العناية بالتراث أعتمد على النشر المطبوعي لأمّهات الكتب التراثية في الأدب والنحو وأعيد إكتساب التراث الأدبي

واللغوي (١٥). ثم جاءت مرحلة مواجهة مفاهيم الفكر السياسي والاجتماعي الأوروبي الحديث بالموازاة مع إنشغال مفكري عصر النهضة مع ما كان يواجههم من قضايا سياسية واجتماعية . وهنا ظهرت أشكال جديدة من التواصل مع الموروث الثقافي تمثلت في إعادة تأويل التراث في ضوء مفاهيم العصر . فأصبحت الشورى يقابلها نواب الأمة في البرلمان والإجماع يقابله الرأي العام . (١٦)

ثم كانت المرحلة الثالثة بدءاً من النصف الثاني من القرن العشرين . وهي مرحلة القراءة العلمية والمنهجية للتراث وتحقيق عشرات النصوص على الأصول العلمية، والإنخراط في التأليف في قضاياها، واستدخال إشكالياته في منظومة إهتماماتهم الفكرية، وفي علاقتهم بقضايا الواقع المعاش. (١٧)

إذا كانت مسألة إحياء التراث الفكري في الفكر العربي الحديث والمعاصر قد عبرت عن نفسها في تلك الصورة الموجزة والمومأ عنها أعلاه . فإن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو : ما الشروط والسياقات التي دفعت ورافقت عملية إحياء التراث الفكري العربي الإسلامي في اليمن ؟

إن مناقشة ومقاربة السؤال أعلاه يتطلب تحديد وتحليل السياقات التي تبأورت من خلالها مسألة إحياء التراث الفكري العربي الإسلامي في اليمن . وهو ما يمكن تحديده على النحو الآتي :

(١) السياق التاريخي :

تعود بواكير الإهتمام بالتراث الفكري في اليمن على المستوى المحلي إلى العقد الثاني من القرن العشرين، وتحديدًا النصف الأول منه. حيث قامت الدولة الإمامية حينها بطباعة بعض المؤلفات الخاصة بأعلام الفكر العربي الإسلامي في اليمن أمثال : (المقبلي ، الجلال ، ابن الأمير ، الشوكاني) .

ولقد فسّر أحد الباحثين هذا الإهتمام من منظور أن تلك المؤلفات سنية الطابع ، وتعود إلى أقطاب التيار السني في المذهب الزيدي الهادي . وقد شجعت السلطة الإمامية على طباعتها ونشرها لأنها ترفض الخروج على الحاكم الظالم ، وتسمي أي

تحرك ضد السلطة فتته . بالتالي فإنها رأت الكتب السنوية أجدى دعوة إلى الجمود السياسي (١٨).

في حين أرجع باحث آخر هذا الإهتمام بالتراث بأنه يأتي في إطار الدور الثقافي لدولة الائمة في القرن العشرين . وأنه على الرغم من أن آراء هؤلاء المفكرين المتميزين قد خالفت ما هو سائد في حينه من آراء وتصورات إلا أن الدولة - لم تعتمد إلى إقصاء نتاجهم المعرفي. بل قامت حال إنتشار الطباعة بطباعة أبرز مؤلفاتهم العلمية (١٩).

ولقد تواصلت عملية الإهتمام بالتراث والإتصال به وذلك في عقد الأربعينيات من القرن العشرين . وهنا لم تكن الدولة الإمامية طرفاً في هذه العملية . ولكن - النخب الفكرية - في الحركة الوطنية اليمنية . وفي إطار نشاطها التنويري من جهة ، وصراعها مع النظام السياسي الحاكم من جهة ثانية . والذي أعده أحد الباحثين بمثابة : "رداً على مسألة إهتمام النظام الإمامي بالتراث". (٢٠)

ومن منظور أنه : " لما كان النظام الإمامي يستمد شرعيته من النصوص التاريخية والتراثية والفكرية . فإن الإهتمام بالتراث واكتشاف مسارات مغايرة للقراءة الرسمية التي يفرضها الحكم الإمامي يصبح مساحة للصراع السياسي .. والنصوص مصادر وموضوعات للتحليل . ونقد النص يعمل على زلزلة النظام السياسي المستند إلى ذلك " (٢١).

ولم يكن المقصود من الإهتمام في هذه المرحلة سوى تراث العالم والمفكر اليمني أبو الحسن الهمداني (٨٩٣-٩٧٠م) . وخصوصاً آراءه وأفكاره التي يدحض من خلالها نظريات " الإمامة في قريش أو في بعض قريش عامة". حيث وجدت بعض من النخب الفكرية والسياسية اليمنية آنذاك في تلك الآراء ما يمكن أن يشكل مسارات مغايرة للقراءة الرسمية للنظام الإمامي للنصوص التراثية الفكرية والتي يستمد منها شرعيته في الحكم . وبالتالي يعزز من مساحة صراعها السياسي والفكري مع ذلك النظام . (٢٢)

إن الإهتمام بالتراث على نحو ما عبّرت عنه الآراء المومأً عنها أعلاه لم تكن في كل وجوها قضية معرفية خالصة ، أو قضية علمية ، بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة .

لقد اتخذت العلاقة بالتراث خلال هذه المرحلة صيغة الإحياء ، عن طريق نشر المؤلفات التراثية بوسائل الطباعة الآلية، ودون أن تخضع تلك المؤلفات لعملية تحقيق على الأصول العلمية . ولم يواكبها أي تطوّر على مستوى التعامل العلمي والمنهجي مع المادة التراثية . وذلك لحالة الجهل السائد بوسائل وطرق التحقيق العلمي للنصوص التراثية ، وفي ظل غياب السياق الثقافي - المعرفي المطلوب لإنجاز العملية .

(٢) السياق الثقافي - المعرفي :

استغرقت عملية تحقيق مستوى من التعامل المنهجي والعلمي مع المادة التراثية للتراث الفكري العربي الإسلامي في اليمن ، وبلورة موقف معرفي منها ، وإنتاج معرفي حولها ، ما يعادل أربعة عقود . تبدأ من النصف الثاني من عقد الستينات من القرن المنصرم وصولاً إلى اللحظة التاريخية الراهنة (٢٣).

وما كان لذلك المستوى العلمي والمنهجي أن يظهر ويتبلور دون أن تتوفّر المعطيات المعرفية والثقافية الدافعة له ومنها : إنشاء الجامعات والمراكز البحثية ، والمؤسسات الفكرية ودور المخطوطات ، وتأسيس المجالات الفكرية المتخصصة بالتراث والتاريخ . وهذا في مجموعه ما ساعد على تشكيل حراك ثقافي ومعرفي في المجتمع اليمني ، حيث احتل التراث وما زال محوراً رئيسياً من محاور ذلك الحراك . (٢٤)

وفي إطار السياق الثقافي - المعرفي فإنه ليس بالإمكان إغفال دور المستشرقين والمراكز البحثية الأجنبية الأوروبية والأمريكية المتخصصة في دراسة ونشر تراث اليمن الثقافي والفكري . حيث كان لهذه المراكز الدور الواضح في جذب إهتمام الباحثين والمفكرين اليمنيين نحو التراث، والاشتراك في تحقيق وتحليل ونشر نصوصه ، والتأليف في موضوعاته وقضاياها. (٢٥)

ترتبط مسألة الإهتمام بالتراث الفكري ويعظم أمرها وتتضخم أكثر في حال المجتمعات المكتنزة بالتاريخ والمسكونه به . أي-في حال المجتمعات التاريخية - أو ذات الميراث التاريخي الكبير (٢٦). وتلك حالة المجتمع اليمني . فهو مجتمع يتّنفس التاريخ ويغلب عليه شعور الإستمرارية التاريخية. وهي استمرارية نجدها في دائرة من الظواهر واسعة : إستمرارية ثقافية تستضاف فيها أعلام التراث الفكري اليمني أمثال : الشوكاني ، ابن الأمير ، الهمداني ، المرتضى ، ابن الجلال ، ابن الوزير ، وغيرهم من الأعلام ... واستمرارية في منظومة القيم والمفاهيم والتيارات والإتجاهات الفكرية الموجودة في التراث.

وللتراث والموروث الفكري سلطته المؤثرة في المجتمع اليمني . ولذلك نجد هذا الأخير سرعان ما يستعيد خلافاً الماضي الفكرية والاجتماعية والمذهبية عند حدوث أي اهتزازة تقلق سكونه . (٢٧)

نخلص من كل ما سبق إلى أن للسياقات التاريخية والثقافية - المعرفية والاجتماعية الدور الواضح في نشأة وتبلور مسألة احياء ودراسة ونشر تراث اليمن الفكري العربي الإسلامي . وعلى إمتداد العقود الأربعة الماضية شهدت تلك المسألة تطوراً وتنوعاً في الرؤى والتوجهات . وبعد أن اتخذت في البداية طابع الإحياء الشامل وطرحت في صيغة إستعادة شاملة لما أنتجه علماء ومفكري اليمن من معارف وعلوم في مختلف ميادين المعرفة(٢٨). أصبحت لاحقاً تخضع لمتطلبات القوى والتيارات الفكرية والاجتماعية-سياسية، ولمواقفها المتباينة من مسألة إعادة تشكيل وتغيير الواقع الاجتماعي والثقافي اليمني .

ثالثاً : أشكال القراءات المعاصرة لتراث اليمن الفكري

(١) المقصود بالقراءات المعاصرة :

قبل أن نبحث في أشكال القراءات المعاصرة لتراث اليمن الفكري سنحاول التعريف بما المقصود بالقراءات المعاصرة ؟

إن ما تقصده الدراسة بالقراءات المعاصرة هي تلك القراءات المنهجية التي عملت على دراسة وتفسير وتحليل نصوص التراث وإنتاج معرفة به ، والتي يحتل خطابها المعرفي مساحة واسعة ومؤثرة في الواقع الفكري والثقافي اليمني الراهن .

وهي معاصرة من جهة حرصها على جعل نصوص التراث الفكري اليمني معاصرة لنفسها على صعيد الاشكالية والمحتوى المعرفي ، ومن جهة أخرى تحاول هذه القراءات أن تجعل النصوص التراثية معاصرة لنا على صعيد الفهم والمقولة . (٢٩)

كما أن وصفها بالقراءات ، لأنها ليست مجرد أبحاث ودراسات تحليلية ، بل تتجاوز ذلك لأنها تقترح تأويلات للنصوص الفكرية التراثية وتعطي لها معنى .

من هنا فإن قراءة وتأويل النصوص التراثية يجب أن تنطلق من زاويتين لا تغني إحداهما عن الأخرى الزاوية الأولى : زاوية التاريخ بالمعنى السوسولوجي . لوضع النصوص في سياقها من أجل اكتشاف دلالتها الأصلية ، ويدخل في ذلك السياق التاريخي لتلك النصوص . والزاوية الثانية: زاوية السياق الاجتماعي والثقافي ، وبالطبع السياق اللغوي الخاص الذي يمثل دافع التوجه إلى تأويل تلك النصوص (٣٠) .

وللتأويل حدود ينبغي أن يلتزم بها الباحث . ولا يتأتى ذلك الإلتزام إلا من خلال معرفة المجال التاريخي والثقافي الذي أنتج في إطاره ذلك النتاج الفكري التراثي وتحديده (٣١)

وعلى الرغم من انعدام البراءة في النشاط المعرفي عموماً ، وفي قراءة النصوص خصوصاً ، أمر له تأويله الأبستمولوجي. فإنه لا توجد أيضاً قراءة واحدة للنصوص التراثية . بل قراءات متعدّدة ومختلفة . وهنا يبرز السؤال التالي : كيف نفَسّر هذا التعدّد والإختلاف في القراءات المعاصرة للتراث الفكري اليمني ؟

في تفسيرنا لهذه الظاهرة سنجد أن التعدّد والإختلاف في القراءات المعاصرة للتراث الفكري اليمني يعود إلى اختلاف منطلقات وأهداف كل قراءة من القراءات من مسألة إحياء التراث واستثماره . وهذا الأمر يقود حتماً إلى اختلاف مناهج قراءة وتحليل وتأويل التراث وإنتاج معرفة حوله .

وعلى الرغم من أن عملية دراسة وتحليل تراث اليمن الفكري بمختلف تياراته الفكرية ورموزه الثقافية لم تستكمل بعد . ولكن من خلال رصد واستقصاء الإنتاج الفكري اليمني على إمتداد أربعة عقود نجد أنه قد تراكمت مجموعة من الكتابات والدراسات حول عدد من أعلام ورموز التراث الفكري اليمني . وهي نتاج لقراءات متنوعة " (استشراقية ، انثربولوجية ، ثقافية ، مقارنة ، وصفية ، انتقائية) . إلا أن الملاحظ على تلك القراءات أن كلاً من القراءة المقارنة والقراءة الانتقائية تشكّلان بمثابة الظاهرة المسيطرة على حقل القراءات المعاصرة للتراث الفكري العربي الإسلامي في اليمن .

(٢) في مفهوم القراءة المقارنة :

تعد القراءة المقارنة للتراث الفكري العربي الإسلامي في اليمن أحد الأشكال الرئيسية للقراءات المعاصرة . ويمثّل المنهج المقارن أداة التحليل الرئيسية لها .

وتزداد أهمية اللجوء إلى القراءة المقارنة في مجال تحليل وتأريخ الأفكار . وكذلك من أجل القاء مزيد من الضوء على الأفكار والأنساق الفلسفية في ضوء النسق الذي تكوّنت ضمنه ، وفي ضوء الشروط الايديولوجية التي كان إطاراً نظرياً لها" . (٣٢)

كما تبرز الأهمية المعرفية التي تمتلكها القراءة المقارنة في تحديد أهمية فكر ما من خارطة الفكر الإنساني . فعلى سبيل المثال تحديد موقع فكر أبو الحسن الهمداني

(٨٩٣-٩٧٠م) وأهمية إنجازه المعرفي في خارطة الفكر العربي الإسلامي من جهة ، والفكر الإنساني من جهة ثانية .

ولكي تتحقق الفائدة المعرفية من عملية المقارنة فإن هناك حدود وشروط للمقارنة ينبغي على الباحث الإلتزام بها ومنها :

- الإستيعاب الواعي لحدود التأويل أي - الحدود التاريخية والثقافية والفكرية-التي أنتج من خلالها أبو الحسن الهمداني نصوصه الفكرية ،

- إيراد النصوص المقابلة حتى يتم تحديد عناصر التماثل والإختلاف وإبراز إختلاف التعاطي النظري والمنهجي بين الهمداني ولحقه .

- تحديد طبيعة النظام المعرفي عند كل من عنصري المقارنة لكي نثبت طبيعة السبق الزمني والفكري وتأثير السابق على اللاحق .

ويشكّل فكر أبو الحسن الهمداني (٨٩٣-٩٧٠م) مادة المقارنة الرئيسية للقراءة المقارنة والتي تهدف من وراءها إلى إثبات أسبقية الهمداني الزمنية والعلمية لعدد من علماء ومفكري أوروبا في العصر الحديث في إكتشاف مجموعة من الموضوعات المعرفية والنظريات العلمية والعلوم الحديثة بنحو ثمانية قرون ميلادية .

في ضوء ما سبق تنبثق الأسئلة التالية : كيف تعاملت القراءة المقارنة مع المنهج المقارن ؟ وهل التزمت بشروط وحدود المقارنة ؟ وما النتائج المعرفية التي توصلت إليها ؟

(٣) نماذج من القراءات المقارنة لفكر الهمداني :

يتمثّل النموذج الأول في مجموعة من الدراسات . ومنها الدراسة الأولى الموسومة بـ " الاتجاه العملي عند الهمداني " (٣٣) ، والدراسة الثانية : " الهمداني ومنهجه التاريخي - الحضاري " . (٣٤) بالإضافة إلى الدراسة الثالثة " الهمداني : مصادره وأفاقه العلمية " . (٣٥)

إن الهدف الرئيس للدراسات المذكورة يتجسّد في إثبات الريادة والأسبقية الزمنية والفكرية للهمداني في عدد من المجالات والنظريات مثل: "إثبات كروية الأرض"، إكتشاف الأكسجين ونظرية الإحتراق وظاهرة القابلية المرتبطة بها، إكتشاف الجاذبية، وإثبات ريادة الهمداني في علم الأثوغرافيا .. وذلك قبل ظهور أي نظرية أو إكتشاف مماثل في أوروبا بنحو ثمانية قرون ميلادية.(٣٦)

كما أن مجال المقارنة يجمع بين أبو الحسن الهمداني (٨٩٣-٩٧٠م) وبين مجموعة من العلماء الأوروبيين مثل: غاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢م)، واسحاق نيوتن (١٦٤٢-١٧٢٧م) ولافوزييه (١٧٤٣-١٧٩٤م). ومادة المقارنة هي النصوص . حيث كل نص من نصوص الهمداني الواردة أدناه تثبت اسبقية الفكرية العلمية والزمنية على علماء أوروبا في العصر الحديث وعلى النحو الآتي :

النص الأول للهمداني: "إن الله تبارك وتعالى خلق هذا الفلك كرياً محدداً وجعل الأرض في وسطه كرية محدوجة . مثله في وسطه كالمرکز في جوف الدائرة الكبيرة وكل دائرة في دائرة ، فإن كل جزء منها من نصف وثلث وربع وسدس متصل بما حاداه من أجزاء الدائرة الداخلية ، وناسبه اتصالاً طبيعياً وإن بعد بينهما وقابل قبولاً شكلياً".

وفي موقع آخر " أعلم أنّ الأرض ليست مسطحة ، ولا ببساط مستوی البسط والأطراف ولكنها مقببه ، وذلك التقب لا يبين مع السعة وإنما يبين تقبها بقياساتها إلى أجزاء الفلك ... " (٣٧)

من خلال هذا النص تستنتج الدراسة الثانية أن الهمداني: "أول من جهر بالقول بكروية الأرض وأنها - غير مسطحة - وأقام البرهان على ذلك والأقيسة العقلية الناصعة ... وجاءت الإكتشافات الحديثة مصداقاً لما جهر به الهمداني"(٣٨)

لمناقشة ومقاربة الإستنتاجات الواردة أعلاه نبدأ أولاً بمراجعة مفهوم تاريخ كروية الأرض وتطوّره . وما إذا كان حاضراً كمفهوم ونظرية قبل عصر الهمداني ، والموقع الذي يحتله في تاريخ الفكر العربي الإسلامي .

في هذا السياق نلاحظ أن تاريخ مفهوم كروية الأرض يرجع إلى الفلسفة اليونانية القديمة منذ حوالي القرن السادس قبل الميلاد. ولكنها ظلت أمراً من أمور التخمين الفلسفي حتى القرن الثالث قبل الميلاد عندما أسس علم الفلك الهلنستي الشكل الكروي للأرض كنظرية فلسفية .

وبالرغم من أن أفلاطون (٣٤٨ ق.م) أتى بأول نظرية عن كروية الأرض. إلا أنه لم يلق التأييد الكافي . كما كان أرسطو (٣٤٠ ق.م) على قناعة كاملة تستند على البرهانين العقلي والنظري بكروية الأرض . حيث يورد في كتابه " السماوات " حججاً وأدلة قوية تؤكد على كروية الأرض.(٣٩)

وجاء الفكر العربي الإسلامي وقام بإحياء نظرية كروية الأرض. وهناك طائفة من علماء الجغرافيا المسلمين ممن جهر بكروية الأرض. يقول ابن خرداذبه (ت ٨٨٥م) في كتاب "المسالك والممالك " "إن الأرض مدورة كدوران الكرة .. موضحة كالمحمة في جوف البيضة " (والمحمة هي صفار البيض) . (٤٠)

وكتب ابن رسته (ت ٩٠٣م) في كتابه " الأعلاق النفيسة " : "إن الله جل وعز وضع الفلك مستديراً كاستدارة الكرة أجوف دواراً . والأرض مستديرة أيضاً " ومصممة في جوف الفلك " . (٤١)

إن ما نريد ايضاحه من كل ما سبق من اراء ومعلومات هو أن الهمداني ليس أول من جهر بالقول بكروية الأرض . فمفهوم كروية الأرض ضارباً في القدم منذ عصر الإغريق . كما سبق كل من أرسطو وأفلاطون الهمداني الحديث عن كروية الأرض . فضلاً عن عدد من علماء الجغرافيا المسلمين أمثال ابن خرداذبه (ت ٨٨٥م) وابن رسته (ت ٩٠٣م) .

بالمقابل فإن جوهر الاختلاف بين إثباتات غاليلو (١٥٦٤-١٦٤٢م) وحديث علماء الإغريق وعلماء المسلمين ومنهم الهمداني يكمن في أن الأول قائم على التجربة وبأدوات العلم الحديث المبني على المعرفة الموضوعية، والمؤسسة على التصور والقياس الكمّي الرياضي . في حين أن الثاني يقوم على البرهان النظري، ويستند على

التصور الحسي النوعي (المعرفة الذاتية) (٤٢) . والأهم من ذلك كله أن الإنجاز العلمي لغاليلو وقبله كوبرنيك (١٤٧٣-١٥٤٣م) . لا يتعلّق بإثبات كروية الأرض فحسب ولكن في إثبات أن الأرض متحرّكة وليست مركز الكون . وأنها هي التي تدور حول الشمس وليس العكس . وهو ما شكل تحوّلاً نوعياً في تصوّر البشرية للكون والعالم، والذي ساد طيلة ما يقل عن الفين (٢٠٠٠) سنة قبل اكتشاف غاليلو وكوبرنيك. (٤٣)

النص الثاني : في الجزء الثامن من كتاب الإكليل أعترض الهمداني على خبر مفاده " أن رجلين دخلا مغارة ، وأمضيا فيها وقتاً طويلاً وهما يحملان شمعة يستدلان بها على رؤية الطريق المتعرجة العميقة حيث قال : " هذا الحديث فيها زيادة لا تمكن لانهم ذكروا المسلك في المغارة ، ثم دخولهم إلى هوة وأبيات فقل بها النسيم ، ويجز فيها التنفس ، ويموت فيها السراج . ومن طباع النفس وطباع السراج ان يحييا ما أتصلا بالنسيم ، فإذا ما أنقطع في مثل هذه المغارات العميقة والخروق المستطيلة لا يثبت فيها روح ولا سراج" (٤٤)

إذاً بموجب هذا النص تذهب الدراسة الأولى في القول بأن للهمداني فضل كبير في اكتشاف غاز الأكسجين الذي أطلق عليه اسم النسيم . وأنه ضروري للتنفس والإحتراق . وقدم لذلك ملاحظات وأجرى عدداً من التجارب .. بأسلوب علمي سبق ما توصل اليه لافوزيه بثمانية قرون. (٤٥)

وتسجّل الدراسة الثالثة بذات النصوص التي جاءت عن الهمداني ما يمكّن اعتباره تفسيراً لنظرية الإحتراق بمصطلح "قلة النسيم" . موضحةً أن الهمداني " لم يكتشف ظاهرة الإحتراق فحسب بل اكتشف ظاهرة القابلية المرتبطة بها " وقبل ظهور أي نظرية مماثلة في أوروبا بنحو ثمانية قرون ميلادية " . (٤٦)

إن الملاحظ على هذه المقارنات هو هدفها والذي يتركز في اثبات سبق الهمداني لعلماء أوروبا أمثال جوزيف بريسيتيلي (١٧٣٣-١٨٠٤م) ولا فوازييه (١٧٤٣-١٧٩٤م) في اكتشاف غاز الأكسجين وإبداع نظرية الإحتراق وظاهرة القابلية المرتبطة بها بنحو ثمانية قرون ميلادية .

من هنا فإن الأسئلة التي تطرح نفسها في هذا السياق هي : هل أدركت النماذج المشار إليها أعلاه وهي تقوم بعملية المقارنة الفروق التي تفصل بين عصر الهمداني، وبين عصر كل من بريستلي ولا فوازييه، واختلاف النسق المعرفي / العلمي والبنى المعرفية والفضاء العقلي لكل منهم ولعصرهم ؟ وهل حاولت تلك النماذج النظر في نصوص الهمداني، وتبيان علاقتها بما سبقها من نصوص وأراء وتجارب لعلماء ومفكرين حاولوا مقارنة مثل هذه الظواهر والقضايا ؟

بالعودة إلى تاريخ العلم سنلاحظ انه قد أنبرى لتفسير ظاهرة الإحتراق والقابلية المرتبطة بها عدد كبير من العلماء والفلاسفة من عصر الأغريق وحتى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي. حيث توصل العالم الإنجليزي جوزيف برستلي (١٧٣٣-١٨٠٤م) إلى اكتشاف غاز الأكسجين من خلال التجارب المخبرية الحديثة . وجاء من بعده العالم لافوزييه ليستكمل عملية التعريف بخصائص الأكسجين وتركيبه ودوره في عملية التنفس والإحتراق .

لقد احتاج غاز الأكسجين وإثبات دوره في عملية التنفس وعملية الإحتراق ، كما احتاجت نظرية الاشتعال والقابلية المرتبطة بها زمناً طويلاً، وعبر تراكم المعرفة البشرية وتقدم العلم وأدواته ومفاهيمه ومناهجه، وفي المقدمة منها المنهج التجريبي الحديث .

وما كان بإمكان الهمداني (٨٩٣-٩٧٠م) أن يصل إلى ذلك الإكتشاف وإلى تلك النظرية في ظل معطيات عصره المعرفية والعلمية . لأن ذلك يتطلب جهازاً معرفياً لم يكن يتوفر عليه الهمداني ولا أي من سابقيه ومعاصريه . كما ان ذلك الإكتشاف يتطلب منظومة معرفية حديثة قائمة على أنقاض المنظومة الأرسطية بأرضيتها الابستمولوجية ، وفضاءً عقلياً حديثاً غير الفضاء العقلي التقليدي الذي سيطر على البشرية منذ عصر الإغريق وحتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي . (٤٧)

إن المشكلة هنا ليست في نصوص الهمداني . فهو عالم ومفكر له اسهاماته في تاريخ العلم والمعرفة في إطار حدود عصره المعرفية والتاريخية والاجتماعية . ولكن المشكلة في عملية تأويل نصوصه من قبل تلك القراءات، وفهم مصطلحاته وتعبيره بغير

معانيها ودلالاتها ، وانتزاعها من سياقها التاريخي وإخراجها عن إطار عصرها، وإكسابها مضموناً معرفياً حديثاً .

النص الثالث : ولما كانت ثلاثة من الأربعة الأركان متحركة إلى ثلاث جهات . فالنار إلى فوق والهواء متعرج والماء يتحرك . والأرض واقفة راكدة كانت أكثر من الثلاثة قبولاً وكان تأثير الأجرام العلوية والعناصر السماوية فيها أكثر وكانت على ما فاتها من الأجسام أغلب وأشدّ جذباً من الهواء والماء من كل جهاتها . فهي بمنزلة حجر المغناطيس الذي يجذب قواه الحديد إلى كل جانب . (٤٨)

تتخذ كل من الدراسة الأولى ومعها الدراسة الثالثة من النص المذكور أعلاه دليلاً يكشف عن " محاولة الهمداني في فيزياء آلية سقوط الأجسام إلى الأرض(٤٩)... بالإضافة إلى اتخاذه دليلاً على اكتشاف الهمداني لقانون الجاذبية وذلك قبل العالم اسحاق نيوتن بنحو ثمانية قرون ميلادية.(٥٠)

في ضوء ما سبق فإننا سننطلق في مناقشة وتحليل التأويل الذي خرجت به الدراستين بناءً على مفهوم الهمداني لحركة الأرض . وهنا نجد أن الهمداني يوافق أرسطو في قوله بثبات الأرض وسكونها في مركز الكون . أي أن الأرض واقفة راكدة لا تدور . (٥١) ووفقاً لهذا التصور فإن الهمداني في النص المذكور لا يشير لأي علاقة تربط بين دوران الكرة الأرضية، وبين دور الجاذبية في عدم طيران ما على سطح الأرض من كائنات ومحيطات وأشياء، كما تحاول الدراسة تفسيره وتأويله . فذلك التأويل لا يتطابق مع معنى النص ومقصوده ومضمونه المعرفي . كما ولا يمكن اتخاذه دليلاً على اكتشاف الهمداني لنظرية الجاذبية وفيزياء آلية سقوط الأجسام في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي.

ننتقل من النموذج الأول من المقارنات والتي هدفها اثبات سبق الهمداني لعلماء ومفكري أوروبا في عدد من الإكتشافات والنظريات بإعتباره مؤسساً لها وأول من تكلم في موضوعها إلى النموذج الثاني والذي هدفه " تحديد مكانة الهمداني بين الرواد الأوائل في مجال الاثوغرافيا" ورصد المادة الاثوغرافية لديه وإبراز مقدرته كعالم ورائد في مجال الاثوغرافيا . (٥٢)

ولكي تصل الدراسة إلى أهدافها فإنها قامت بتوصيف المعلومات الواردة في كتاب الهمداني " صفة جزيرة العرب " بإعتبارها نتاج لمشاهدات اثوغرافية متنوعة. وتقدم دليلاً اثوغرافياً ممتازاً يصف نمط واسلوب حياة المجتمعات ، كما أنها تمثّل دليلاً على أن الهمداني كان ذو مقدرة على إتباع منهج الملاحظة والمشاركة " . (٥٣)

واستناداً إلى تلك المشاهدات التي رصدت الحالة الإجتماعية والإقتصادية والثقافية لليمن في القرن العاشر الميلادي. فإن الهمداني في تقدير الدراسة يكون قد أفصح عن معرفته بمجال جديد أبدع فيه الأمر الذي يجعل منه رائداً من رواد الاثوغرافيا " . (٥٤)

في ضوء النتائج التي توصّلت إليها الدراسة والمشار إليها أعلاه تتحدر مجموعة من الأسئلة وهي : هل تسمح البنية الإجتماعية والمعرفية فضلاً عن النسق المعرفي للهمداني في أن يقوم برصد نمط اسلوب حياة المجتمع اليمني في القرن العاشر الميلادي بناءً على علم الأثوغرافيا وفي ضوء منهج الملاحظة والمشاركة وهو أحد المناهج الرئيسية في علم الاثوغرافيا والاثربولوجيا ؟

وهل يسمح النسق المعرفي لعصر الهمداني بحضور الأثوغرافيا كعلم ، إلى جانب العلوم الأخرى المعروفة في عصره مثل : التاريخ ، الفلسفة ، المنطق ، الجغرافيا .. ؟ وبحضور منهج المشاركة والملاحظة ؟

إذا نظرنا في العوامل التي دفعت بإتجاه تأسيس الأثوغرافيا كعلم حديث سنجد أنها ترتبط بالتحوّلات العلمية والاجتماعية والإقتصادية السياسية والفكرية التي شهدتها المجتمع الأوروبي في القرن التاسع عشر الميلادي ومنتصف القرن العشرين . ومن المعروف أن لهذا الحقل المعرفي موضوعه الخاص ، وأدواته ، ومناهجه ، وأسس النظرية وخلفياته الفلسفية . في حين إنطلق الهمداني في رصده لحالة المجتمع اليمني في القرن العاشر الميلادي في إطار علوم عصره ومن بينها الجغرافيا . وكتابه صفة جزيرة العرب " ينتمي إلى ما يعرف بالجغرافيا البدائية أو الجغرافيا الإقليمية على وجه الخصوص. وهي فرع من فروع علم الجغرافيا . (٥٥)

ولقد أتبع الهمداني في كتابه أسلوب المشاهدة الشخصية وهو الأسلوب الذي أتبعه أيضاً رواد الجغرافيا الحديثة أمثال (همبولدت وراتزال .. وغيرهم) . وتعد المعلومات الواردة في الكتاب والتي رصدت الحالة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في القرن العاشر الميلادي بمثابة مسحاً طبوغرافياً وافياً لليمن . (٥٦)

لقد أندفعت الدراسة بتأثير من إرادة إثبات السبق الزمني للهمداني إلى عدم التمييز بين منهج الملاحظة والمشاركة وهو أحد المناهج الحديثة المرتبطة بعلمي الأنثروبولوجيا والأثنوغرافيا ، وبين أسلوب المشاهدة الشخصية والذي أستخدمه الهمداني في رصده لحالة المجتمع اليمني في القرن العاشر الميلادي . وهو أسلوب نلاحظه أيضاً في كتابات الجغرافيين والرحالة العرب أمثال ابن خرداذبة والمقدسي والإدريسي وابن بطوطة .. وغيرهم ، ، .

كما كان لرغبة الدراسة في بلوغ المقارنة هدفها المتمثل بإثبات ريادة الهمداني الدور الواضح في إغفال الفروق بين البنى الاجتماعية والمعرفية والأنساق المعرفية لعصر الهمداني والعصر الحديث (القرن التاسع عشر الميلادي ومنتصف القرن العشرين). وبالتالي إغفال الفروق التي تفصل بين الأثنوغرافيا والجغرافيا . وأنّ الأثنوغرافيا كعلم مشروع مستحيل ضمن البنية المعرفية التي عاصرها الهمداني .

بالمقابل لم تقم الدراسة بإجراء مقارنة بين نصوص الهمداني والنصوص الأثنوغرافية والأنثروبولوجية الحديثة المتعلقة باليمن للبحث عن المماثلات وتبيان الفروقات وبالتالي إثبات ريادة الهمداني . وهو ما دفعها إلى إصدار أحكاماً عامة لا وجود لها في الواقع الموضوعي لتاريخ المعرفة .

(٤) النتائج المعرفية للقراءة المقارنة :

لقد سعت معظم نماذج القراءة المقارنة إلى إثبات استبقية أبو الحسن الهمداني الزمنية والعلمية لعلماء أوروبا في العصر الحديث في عدد من الاكتشافات والنظريات بإعتباره مؤسساً لها وأول من تكلم في موضوعها . وجميعها افتقرت نتائجها إلى عناصر

الواقعية والموضوعية ، وخضعت لسلطة الأيديولوجيا على حساب إنتاج معرفة موضوعية بنصوص الهمداني تعكس دالاتها الحقيقية .

وكل ذلك يعد نتاجاً لعدم تقيدها بشروط المقارنة ، بالإضافة إلى عدم استخدامها للمنهج المقارن الإستخدام الموضوعي والعقلاني .

من هنا لم تستطيع تلك النماذج من القراءة المقارنة تقديم معرفة موضوعية متوازنة تعبّر عن واقع إنجاز الهمداني العلمي وحقيقته . فهي في سبيل تحقيق هدفها الإيديولوجي المتمثل في إثبات اسبقية الهمداني الزمنية والعلمية. عملت على تطوير آراءه بحيث تأتي نتائج المقارنة متطابقة مع الهدف . وبغض النظر عن ما يترتب من ذلك الإجراء المنهجي من نتائج عكسية على صعيد المعرفة المنتجة من عملية المقارنة

وبالنسبة إلى المادة المعرفية التي أنتجتها تلك النماذج من القراءات المقارنة، فإنها تحيلنا إلى مادة معرفية لا تعكس الخصائص المعرفية لفكر الهمداني بل تتناقض معه ومع نسقه المعرفي . وهذا ما يدفعنا إلى وصف تلك المقارنات بمقارنات غير مشروعة سواءً على مستوى القضايا التي تناولتها أو على صعيد الأهداف المعرفية التي قامت بتحديدتها . وهذا ما أفضى بها إلى الخروج بنتائج غير معرفية وغير موضوعية .

(٥) المقصود بالقراءة الانتقائية :

تعد القراءة الإنتقائية أحد أشكال القراءات المعاصرة للتراث الفكري العربي الإسلامي في اليمن. وتمتلك حضورها في حقل القراءات التراثية المعاصرة ، ولديها خطابها المعرفي والإيديولوجي .

واللجوء لهذا الشكل من القراءة أمراً لا يختص بالدارسين لتراث اليمن الفكري ، وإنما يمكن رصده عند دارسي تاريخ الفلسفة من المؤلفين المعاصرين في محاولاتهم تكوين معرفة عن تراث الفكر الفلسفي اليوناني القديم . (٥٧)

ولأن للتراث فعاليته الخاصة في صياغة وعينا الثقافي والفكري الراهن . كما وأن هناك الكثير من القيم والمفاهيم والاتجاهات الفكرية السائدة في ثقافتنا ، هي أصداء

لكثير من تلك القيم والتوجهات الموجودة في التراث ، ولها تأثيرها على حركة الواقع الثقافي والاجتماعي .

من هنا يصبح لمنهج القراءة وما ينتجه من أشكال معرفية الدور الرئيسي في تحديد طبيعة القيم والمفاهيم والتوجهات الفكرية التي يراد لها أن تساهم في صياغة الوعي من جهة ، وتشكيل وتغيير الواقع الثقافي والاجتماعي من جهة ثانية .

لذلك خضع تراث اليمن الفكري لشكل من القراءة من أبرز سماته أنه اعتمد على عملية انتقاء واختيار لمجموعة من المفاهيم والتوجهات الفكرية الموجودة في التراث محاولاً إحياءها وإنتاج معرفته بها. أما من منظور "التواصل الفكري والاستفادة منها في بناء الحاضر(٥٨) أو من منطلق "خلق رؤية ثورية للخروج من دوائر التخلف والإجترار(٥٩).

(٦) نماذج من القراءة الانتقائية :

ويتمثل النموذج الأول بمجموعة من القراءات التي تصدّت لدراسة وتحليل بعض من الإنتاج الفكري لرموز الفكر الإسلامي في اليمن أمثال المفكر ابن الأمير الصنعاني (١٦٨٨-١٧٦٩م) ، والمفكر محمد بن علي الشوكاني (١٧٦٠-١٨٣٤م) .

في هذا الحيز من البحث سنقوم بتحديد أهداف تلك القراءات وطبيعة المادة المعرفية المنتجة وكيفية توظيفها ايديولوجياً .

نبتدأ بالقراءة الأولى الموسومة بـ " ابن الأمير الصنعاني ومنهجه في كتابه (سبل السلام) (٦٠) . ونتوقف أمام الموضوع الرئيس والأساس لتلك القراءة والمتمثل بتحديد عقيدة ابن الأمير من جهة، وتبيان طبيعة موقفه من الدعوة الوهابية من جهة أخرى .

في تحديدها لعقيدة ابن الأمير الصنعاني بحسب مصطلح تلك القراءة فإنها " عقيدة سلفية وليست شيعية زيدية ولا اشعرية ولا اعتزالية " كما تؤكد عدم نسبة ابن الأمير الصنعاني إلى " الزيدية الفقهية والسياسية " . (٦١)

لقد استتدت القراءة في حكمها بأن عقيدة ابن الأمير الصنعاني سلفية وبعدم نسبته إلى الزيدية السياسية والفقهية على الوقائع التالية :

- رسالة ابن الأمير المسماة " تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد "
- الأبيات الموجودة في ديوان ابن الأمير والتي يدعوا فيها إلى اتباع نهج السلف الصالح من الإعتماد على الكتاب والسنة .
- مدحه الكثير للسلف من أهل الحديث واقتدائه الكامل بهم .
- مخالفة ابن الأمير للزيدية ولا سيما الهادوية في الفروع والأصول .
- وصول ابن الأمير إلى مرتبة الإجتهد المطلق المستقل .
- ما عرف عن ابن الأمير أنه كان من أبرز دعاة اللامذهبية والاجتهاد وترك التقليد .
- جميع الآراء والأفكار التي تشير إلى زيدية ابن الأمير ومواقفه السياسية لا يستبعد امتداد يد التحريف والتزوير إليها وخصوصاً كتابه " الروضة الندية شرح التحفة العلوية" . (٦٢)
- وجود قراءات أخرى تشارك القراءة المذكورة الرأي حول الطابع السلفي لفكر ابن الأمير . وإعادة كل ما يتصل من آراء تشير إلى زيديته السياسية والفقهية إلى عامل التزوير والتحريف الذي طال مؤلفات ابن الأمير . (٦٣)

إن الملاحظة الأساسية على الإستنتاج الذي خلصت إليه القراءة والمتمثل بأن عقيدة ابن الأمير عقيدة سلفية. إن ذلك الإستنتاج لم يكن نتاج لعملية فحص وتحليل لجميع جوانب فكر ابن الأمير والمنشور في أكثر من ١٨٠ مؤلف ومخطوطة ورسالة . فضلاً عن مواقفه العملية ، ومعطيات واقعه الاجتماعي التاريخي . ولكنه - استند إلى

الوقائع المشار إليها أعلاه . وبالإمكان تطبيق تلك الملاحظة الأساسية على ذات القراءة بخصوص تصنيفها لعقيدة الإمام الشوكاني باعتبارها عقيدة سلفية. إنطلاقاً من التقارب الملحوظ الذي تعتقده بين فكر محمد بن عبد الوهاب وفكر الإمام الشوكاني. وفي ضوء القصيدة التي أمتدح بها الشوكاني مؤسس الدعوة الوهابية (٦٤) .

إن استناد القراءة وبقية القراءات الأخرى المناظرة لها على فرضية التزوير والتحريف الذي طالت كتاب ابن الأمير " الروضة الندية " . لدحض ما يشير إلى زبديه ابن الأمير السياسية . إن تلك الفرضية بحاجة إلى الإثبات . وهو ما تقتقد إليه تلك القراءة ومثباتها. ذلك أن اثبات واقعه التزوير والتحريف يتطلب وجود أصول الكتاب المخطوطة بخط المؤلف لمقارنته بالكتاب المتداول وهذا ما لم يتوفر بعد .

والقول بمخالفة ابن الأمير للزبديه في الأصول واتخاذها عاملاً محدداً في التأكيد على سلفية ابن الأمير . إن هذا القول يتناقض مع مواقف ابن الأمير الفكرية والعملية . وللتوضيح فإن الإمامة هي الأصل الخامس من أصول المذهب الزبدي الهادي . ومخالفة ابن الأمير لهذا الأصل معناه خروجه عن المذهب بمفهومه السياسي والفقهية . وهذا ما لم يحدث في حياة ابن الأمير سواء على المستوى النظري أو على الصعيد العملي . (٦٥)

وبخصوص استناد القراءة لعامل وصول ابن الأمير إلى مرتبة الإجتهد المطلق المستقل، واتخاذ دليله على عدم نسبة ابن الأمير إلى الزبديه . إن ذلك لا يعد دليلاً بل ولا يجوز اتخاذ دليله . فهناك العشرات من علماء ومفكري الزبديه الذين وصلوا إلى هذه المرتبة العلمية، وهم المعروف عنهم أنهم قاموا بتأليف أمهات الكتب الزبديه في الفقه وأصول الفقه وعلم الأصول . فهل يعد وصولهم إلى مرتبة الإجتهد المطلق المستقل دليلاً على عدم نسبتهم إلى الزبديه . (٦٦)

أما ما يتعلق بالربط بين ما أشتهر به ابن الأمير باعتباره كواحد من دعاة اللامذهبية والإجتهد وترك التقليد، وبين اتخاذ ذلك دليله على عدم نسبته إلى الزبديه . فإن هذا الربط يفتقر إلى أدنى معايير الموضوعية . ذلك أن من المميزات الأساسية في فكر الزبديه الإجتهد ورفض التقليد ، وانتقاص المقلدين والإزدراء بكل عالم لا يضيف

جديداً أو يجتهد في الفكر . فضلاً عن التفتح الفكري واحترام العقل . بل ومن شروط شغل وظيفة القضاء أو الإفتاء في المذهب الزيدي أن يكون الشخص مجتهداً ليس مقلداً، وتتوفر لديه الوسيلة العلمية التي تفرض له مكانته في المجتمع . (٦٧)

وتبقى مسألة إتباع ابن الأمير لنهج السلف الصالح من الإعتماد على الكتاب والسنة، واتخاذ دليلًا من قبل القراءة للتأكيد على أنه ذو عقيدة سلفية .

إن نظرة فاحصة في مؤلفات كبار علماء الزيدية سواء في الفقه (علم الحديث) أو أصول الفقه . سنلاحظ أنهم لم يكونوا قد تجاوزوا الأدلة الشرعية وهي: " الكتاب الكريم ، السنة النبوية ، الإجتهد ، والإجماع الصحيح " . وجميع هؤلاء إتبعوا نهج السلف الصالح بما فيهم ابن الأمير . ولكن ليس على الطريقة السلفية القائمة على النقل والاحتذاء والمتابعة . بل - في الإجتهد والخروج على التقليد- كما والخروج على الإجماع الخاطئ . وهذه جميعها خاصة من خصائص الزيدية والمذهب الزيدي الهادي ، كما هو ثابت ومعروف في التاريخ والتراث الفقهي والفكري، وليست من خصائص السلفية . (٦٨)

وكون ابن الأمير قد خالف الزيدية الهادية في عدد من المسائل والأحكام فذلك نابعاً من اجتهاده المطلق المستقل، والذي استمده من منهجية ومراتب الإجتهد في المذهب الزيدي الهادي .

والقول بأنه كان من دعاة اللامذهبية بحسب القراءة. فإن اللامذهبية لا تعني بأي حال من الأحوال السلفية . كما أن ميله إلى محاربة البدع، وعدم تقديس الأضرحة، لا يعد دليلاً على سلفيته . فقد حرص الإمام المهدي عباس والذي حكم خلال الفترة من (١٧٤٨-١٧٧٥م) على هدم القباب والأضرحة بناءً على مخاطبة ابن الأمير له في رسالته المسماة بـ "تطهير الاعتقاد.." وهي الرسالة التي تتخذها القراءة المذكورة وغيرها من القراءات بمثابة دليل على سلفية ابن الأمير . فهل ما قام به الإمام المهدي عباس من أعمال يدعوننا إلى إتخاذها دليلاً لتوصيف عقيدته بأنها عقيدة سلفية، ووصفة بمفكر وإمام سلفي .

وكما استندت القراءة على عامل التزوير والتحريف الذي طال كتاب ابن الأمير "الروضة الندية" فقد استندت إلى ذات العامل، ومعها بقية القراءات المناظرة لها، للتأكيد على عدم صحة نسبة القصيدة التي أعلن فيها ابن الأمير عن تراجعها، وعدم تأييده للدعوة الوهابية، بعد علمه بما دعا إليه صاحبها من تكفير واستحلال دماء المخالفين لدعوته. وكليهما الكتاب والقصيدة بحاجة إلى ظهور المخطوط الأصل وبخط يد المؤلف لإثبات واقعه التحريف والتزوير.

إن ما يستوجب التوقف أمامه في هذه القضية الفكرية هو أن تراجع ابن الأمير عن تأييد الدعوة الوهابية إنبنى على خلاف واختلاف فكري مع صاحبها. وهو العامل الرئيس الذي حاولت القراءة المذكورة نفيه ودحضه. ولكن ماذا بإستطاعة تلك القراءة وما بمقدورها فعله أمام رسالة ابن الأمير الفكرية الموسومة بـ "النشر الندي بحقيقة محمد بن عبد الوهاب النجدي"؟ وهي الرسالة التي قام بتأليفها ابن الأمير للرد على محمد بن عبد الوهاب، والذي أخذ من حادثة قتل خالد القسري للجعد بن درهم دليلاً على مسلكه في قتل المخالفين لدعوته. وأعتبر سكوت بقية الصحابة على هذه الحادثة إجماعاً منهم على قتل صاحب البدعة. (٦٩)

يصف ابن الأمير الصراع الدائر بين عبد الملك ابن مروان وابن الزبير والمختار بن عبيد بقوله: "أن هؤلاء أقوام طلاب ملك ودنيا لا يستدل بأفعالهم عاقل.. بل هؤلاء قوم يسفكون الدماء بطلب الملك فأفعالهم دولية لا دليالية أي "سياسية لا دينية". ويشير ابن الأمير إلى أن قتل الجعد بن درهم عمل من أعمال الطغيان والاستبداد ولم يستشر قاتله احداً من العلماء.. فكيف يدعى الإجماع على قتله. (٧٠)

من خلال العرض والتحليل والنقد أعلاه يتبين لنا مدى حرص القراءة المذكورة على إظهار وإبراز الطابع السلفي كتوجه رئيس في فكر ومواقف ابن الأمير، والطمس والتعتيم والعزل لكل الآراء والرسائل والمواقف التاريخية التي تكشف عن زديته السياسية والفقهية. فضلاً عن خلافه واختلافه الفكري مع مؤسس الدعوة الوهابية.

لقد خضع فكر ابن الأمير لعملية انتقاء واختيار معقدة بهدف اظهاره بمظهر سلفي. وفي هذا الجانب تجسّد المنهج الإنتقائي النفعي للقراءة الإنتقائية.

إذا كان النموذج الأول من القراءة الانتقائية قد سعى إلى تصنيف فكر وعقيدة كل من ابن الأمير والشوكاني في صورة فكر سلفي وعقيدة سلفية. فإن النموذج الثاني يذهب باتجاه مغاير ومخالف. وذلك من خلال تصنيفه لكل من (ابن الأمير والشوكاني) كمثلي لحركة اعتزال جديدة في تاريخ الفكر الإسلامي ووصفهم بالمعتزلة الجدد . (٧١)

وبحسب القراءة فإن الشوكاني يعد مؤسساً وواضعاً لمنهج الإعتزال الجديد . (٧٢) كما تتجسد معتزلية ابن الأمير في كتاباته الدينية والفكرية التي وقف من خلالها في وجوه المتعصبين ودعاة الشعوذة والأباطيل العقلية " . (٧٣)

ان ما خلص اليه النموذج الثاني من القراءة الانتقائية من نتائج معرفية تدفعنا نحو التفكير والمناقشة والتحليل وطرح الأسئلة وهي : ما موقع علم الكلام والذي يشكل الأساس النظري والإطار المنهجي للمعتزلة في مقاربتهم للقضايا العقيدية والمعرفية لدى كل من الشوكاني وابن الأمير؟ وما طبيعة المواقف الفكرية والعملية للشوكاني وابن الأمير من الأصول الخمسة للمعتزلة ؟ وهل محاربة التقاليد وإعمال العقل والدعوة للإجتهد والتي ميزت فكر الشوكاني والأمير .. تعد محددات كافية لوصفهم بالمعتزلة الجدد ، واعتبار الشوكاني مؤسساً لمنهج الإعتزال الجديد ؟

بالعودة إلى التاريخ والتراث الفكري والفقه العربي الإسلامي فإن محاربة التقليد وإعمال العقل والإجتهد لم تكن حكراً على المعتزلة وحدهم. بل تشترك معهم الزيدية- في هذه الخصائص . ناهيك عن انها من أساسيات المذهب الزيدي الهادي . كما تتفق الزيدية الهادوية مع المعتزلة في أربعة من الأصول الخمسة وهي (التوحيد ، العدل ، الوعد والوعيد ، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..) وتختلف معها في أصل واحد وهو الإمامة في آل البيت . والذي يعد من أساسيات المذهب الزيدي الهادي . في حين تعتبر الإمامة عند المعتزلة موضوع فرعي . بل ومن أشد القضايا الخلافية والإختلافية لديهم . (٧٤)

وتوضح الكتابات الفكرية للشوكانى وابن الأمير وتقصح عن التزام كامل بالأصول الخمسة وفي المقدمة الأصل الخامس المتمثل بالإمامة . كما لا تخرج المواقف العملية لديهم عن ذلك .

أما ما يتعلق بعلم الكلام فقد وصف الشوكانى علم الكلام ومقالاته . قائلاً : وأعلم أنني عند الإشتغال بعلم الكلام وممارسة تلك المذاهب والنحل لم أزد بها إلا حيرة ولا استقدت منها الا العلم بأن تلك المقالات خزيبات " . (٧٥)

وحول قواعد علم الكلام فإن الشوكانى يدعوا إلى " عدم الإعتداد بشيء من تلك القواعد المدونة في هذا العلم المبني على شفى جرف هار من أدلة العقل التي لا تعقل ولا تثبت إلا بمجرد الدعاوي والإفتراء على العقل بما يطابق الهوى .. وعند هذا رमित بتلك القواعد من شاهر ، وطرحتها خلف الحائط ، والله الحمد على أنني والله الشكر لم أشتغل بهذا الفن " . (٧٦)

ولا تختلف مواقف ابن الأمير عن مواقف الشوكانى حيث حمل على المعتزلة لادعائهم معرفة تأويل المتشابه ولإشغالهم في البحث عن الدقائق التي لا توصل إلى المطلوب . (٧٧)

نخلص من المناقشة والتحليل أعلاه إلى أن وصف النموذج الثاني من القراءة الانتقائية للشوكانى وابن الأمير بالمعتزلة الجدد وتصنيفهم كمثلي لحركة اعتزال جديدة، لا يتطابق مع المنطلقات المنهجية والفكرية والمعرفية الأساسية التي ميّزت المعتزلة. وكون هناك خصائص مشتركة تجمع بين هؤلاء المفكرين وبين المعتزلة والفكر المعتزلي مثل : نبذ التقليد ، الإجهاد ، إعمال العقل . فهذه ليست شروطاً موضوعية كافية تدفع باتجاه تصنيفهم كمعتزلة. وتصنيف الشوكانى في صورة مؤسس لمنهج الاعتزال الجديد.

لقد وجد النموذج الثاني أنه حين يقوم بتقديم فكر الشوكانى وابن الأمير في صورة فكر معتزلي وتصنيفهم كمعتزلة جدد فإنه يكون بذلك الفعل المعرفي قد أكتشف في تراث اليمن الفكري ما يعين على تحرر الفكر الحاضر من قيود الخرافة والأسطورة ومحاربة التخلف والجمود . وما يلبي متطلبات قوى التنوير والحدثة في المجتمع اليمني ويخدم

مواقفها من مسألة إعادة صياغة الوعي اليمني المعاصر استناداً إلى التراث عن طريق احياء مفاهيم وقيم مثل: حرية الفكر ، الدعوة إلى العقل ، التفكير النقدي. إلا أن المعرفة التي أنتجها النموذج لم تنضج إلى تكوين وعي موضوعي وإنتاج معرفة موضوعية بفكر هؤلاء العلماء المجددين .

(٧) النتائج المعرفية للقراءة الانتقائية :

يكشف لنا النموذج الأول ومعه النموذج الثاني من القراءة الانتقائية أننا أمام شكل من القراءة أنتج بدوره أشكال معرفية متناقضة ومختلفة حيال مفكر واحد.

لقد أعطى النموذج الأول الصدارة للراء والأفكار التي تعبّر عن سلفية كل من ابن الأمير والشوكاني وتصويرها وكأنها تمثل الاتجاه الأساس لديهما. وبالتالي تم تثبيت فكرهما وعقيدتهما في صورة فكر سلفي وعقيدة سلفية .

في حين قام النموذج الثاني بانتقاء وإختيار نماذج لبعض الممارسات الفكرية عند (الشوكاني ، ابن الأمير). والإنحياز لها والبناء عليها والإنطلاق منها في تقديم فكرهما في صورة فكر معتزلي ووصفهم بالمعتزلة الجدد وتصنيفهم كمثالي لحركة اعتزال جديدة في تاريخ الفكر العربي الإسلامي الحديث في اليمن .

لقد وجد كل من النموذج الأول والنموذج الثاني في تراث اليمن الفكري العربي الإسلامي ما يخدم توجهاته ومواقفه من الحاضر. ولأن كل نموذج يمتلك مواقف وتوجهات مختلفة ومتناقضة من الحاضر سواء ما يتعلق منها بعلاقة وموقع التراث من مسألة صياغة الوعي الفكري والثقافي الراهن ، أو ما له صلة بعملية إعادة تشكيل وتغيير بنية الواقع الثقافي والإجتماعي اليمني .

من هنا أخضعت تلك النماذج فكر الأعلام (الشوكاني ، ابن الأمير) ممثلاً بالنصوص التراثية والوقائع التاريخية لعملية اختيار وانتقاء معقدة، وقامت بتأويلها وجعلها تتحدث بما تريده ، لا كما هي في الواقع، وبما يتناقض مع المحتوى المعرفي لتلك النصوص والمواقف الفكرية والعملية لمؤلفيها . وجرت عملية اختزال تراث هذا المفكر أو ذاك في صورة فكر سلفي أو فكر معتزلي. وبطريقة تكشف عن دلالة

إستغلالية لغايات نفعية وتوظيف ايدولوجي يتوافق مع اهتماماتها المعاصرة من جهة ، ويتفق مع متطلبات قوى فكرية واجتماعية لها رؤيتها الخاصة من مسألة صياغة الوعي وإعادة تشكيل وتغيير الواقع الثقافي والفكري اليمني الراهن من جهة ثانية . وهذا ما دفع بتلك النماذج إلى تطوير نصوص التراث لخدمة تلك الإهتمامات والمتطلبات. فحضرت المنهجية الإنتقائية النفعية وأصدرت الأحكام القطعية وأهدر البعد التاريخي. وتعثرت بالتالي تلك النماذج في التوصل إلى نتائج معرفية موضوعية وعقلانية تساعد على تكوين وعي موضوعي بتاريخ وتراث اليمن الفكري .

رابعاً : القراءات المعاصرة بين سؤال التراث وسؤال الواقع اليمني الراهن

(١) حول مسألة تكوين الوعي بتاريخ اليمن الفكري .

انطلقت القراءة المقارنة والقراءة الإنتقائية في علاقتها بتراث اليمن الفكري العربي الإسلامي بناءً على اهتماماتها الفكرية وتوجهاتها الاجتماعية من جهة ، وفي ضوء مواقفها المختلفة من عملية صياغة الوعي وإعادة تشكيل الواقع الثقافي والاجتماعي اليمني الراهن من جهة ثانية .

ولقد قاد اختلاف الإهتمامات والمواقف إلى اختلاف الأهداف من مسألة إحياء التراث واستثماره . وهذا ما انعكس بدوره على مسألة تنوع مناهج قراءة التراث وتحليله وتفسيره وتأويله وإنتاج المعرفة به.

وفي إطار عملية إنتاج المعرفة بتراث اليمن الفكري أسست كل من القراءة المقارنة والقراءة الإنتقائية خطابها المعرفي المعبر عن رؤيتها وموقفها المعرفي من مسألة إحياء التراث واستثماره . فهل استطاع ذلك الخطاب أن يؤسس لوعي موضوعي علمي حول تراث وتاريخ اليمن الفكري ؟

بعد إعمال عنصري التحليل والنقد في المضمون المعرفي والايديولوجي للمادة المعرفية التي أنتجتها القراءة المقارنة فقد تبين لنا أنها تكشف عن مادة معرفية لا تعكس الخصائص المعرفية لفكر الهمداني . بل وتتناقض معه ومع نسقه المعرفي . وتشير

إلى وجود فجوة عميقة تفصل بين تلك المادة التي أنتجتها القراءة المقارنة وبين فكر الهمداني.

وليس المشكلة هنا في المنهج المقارن . ولكن في طريقة استخدامه وتوظيفه من قبل النماذج المذكورة .

لقد كان بإمكان تلك النماذج الاستفادة من الإمكانيات الهائلة التي يمتلكها المنهج المقارن أو الطريقة المقارنة وتوظيفها على سبيل المثال لا الحصر : في الكشف عن الإنجاز الفكري والمعرفي للهمداني ودوره في تطوّر علم الجغرافيا وعلم التاريخ . وتحديد موقعه في التاريخ والتراث الفكري العربي الإسلامي . وذلك عن طريق إجراء المقارنة بينه وبين عدد من العلماء العرب السابقين له أو اللاحقين أمثال : الكندي ، ابن حيان ، البيروني ، ابن خلدون ، الإدريسي ، ابن بطوطة .. وغيرهم .

كما كان بإمكان تلك القراءات تحديد الإضافات المعرفية التي حققها الهمداني عن طريق إجراء المقارنة بينه وبين عدد من الفلاسفة اليونان في بعض الحقول المعرفية . الأمر الذي حاولت الكثير من الكتابات الإستشراقية تجاوزه وعدم التوقف أمامه إنطلاقاً من مفهوم المركزية الأوروبية التي يحكم ويحدد طبيعته علاقتها بالتراث الفكري غير الأوروبي ومنه التراث الفكري العربي الإسلامي (٧٨) .

لقد كانت القضية المسيطرة على القراءة المقارنة في مسألة تحليلها وتأويلها لفكر الهمداني هي إثبات الذات أمام الآخر الأوروبي . من خلال إثبات قدرة العقل العربي أو العقل اليمني على الإبداع النظري عبر تراثه وتأكيد تفوقه على الفكر الأوروبي الحديث . وتلبية لذلك الشرط أو الهدف قامت باستدعاء عنصر المقارنة بين فكر الهمداني والفكر الأوروبي الحديث . وهو كما تبين لنا إستدعاء ايديولوجي وليس معرفي . قاد بدوره لعملية الخلط الواضحة بين العصور والبنى الإجتماعية والمعرفية المختلفة ، وبين العلوم والمعارف والمناهج . وانتج بدوره معرفة تنقصر لعناصر الموضوعية والعلمية . معرفة لا تجعلنا قريبين من الهمداني وتراثه بل تبعدنا عنه . وهذا كله يؤسس لوعي غير موضوعي وغير علمي بتراث الهمداني من جهة ، وبتاريخ اليمن الفكري من جهة ثانية.

وكما أظهرت المادة المعرفية المنتجة من القراءة المقارنة عن أزمة تعامل مع المنهج . فإن المادة المعرفية المنتجة من القراءة الإنتقائية أظهرت هي الأخرى عن أزمة منهج تعيشه القراءة الإنتقائية. ولقد تجسّد ذلك في تناقض المضمون المعرفي والمضمون الأيديولوجي للمادة المعرفية التي أنتجتها نماذج القراءة الإنتقائية مع الإطار العام والوحدة الواحدة لفكر الشوكاني وابن الأمير من جهة ومع نتائجها المعرفي وممارستهما الفكرية والعملية من جهة ثانية ، ومع السياقات التاريخية والاجتماعية والفكرية لواقعهما ومجتمعهما من جهة ثالثة .

نخلص من كل ما سبق إلى أن القراءات المعاصرة ومن خلال نموذجي القراءة المقارنة والقراءة الإنتقائية تكشفان عن وجود أزمة تعترض طريق إنتاج معرفة موضوعية بتراث وتاريخ اليمن الفكري . وهي أزمة منهج بالنسبة للقراءة الإنتقائية وأزمة تعامل مع المنهج بالنسبة للقراءة المقارنة . وقد أفضت جميعها إلى ما يمكن تحديده في صورة أزمة تعترض طريق تكوين وعي موضوعي علمي بتاريخ وتراث اليمن الفكري العربي الإسلامي .

(٢) أحياء التراث واستثماره والواقع اليمني الراهن :

شكّل الواقع الإجتماعي والثقافي اليمني وما يكتنفه من مشكلات ، وما يعانيه من أزمات ، الدافع الرئيس للقراءات المعاصرة للتّوجه نحو التراث ومحاولة إحياءه ، ودراسته وتأويله ، وإنتاج معرفة حوله. من منطلق أنها ستجد فيه " ما يعين على تحرر الفكر الحاضر من قيود الخرافة والأسطورة ومحاربة التخلّف والجمود " . (٧٩) وما يمكن أن تستفيد منه في بناء حاضرها وتسترشد به لتلافي أخطاءها". (٨٠) وما يساعد على تجذير قيم ومفاهيم التنوير والعلم والمعرفة في الوعي والفكر والسلوك " . وبإمكاننا تأطير ذلك كله في صورة العلاقة التي تجمع بين الماضي / التراث / والحاضر / الأزمة .

وإذا ما حاولنا تفسير ذلك التّوجه سنجد أنه يؤشر إلى ما للتراث من فعالية خاصة في صياغة الوعي الثقافي والفكري اليمني الراهن ، وما يشكّل حضوره الملموس من أهمية وتأثير في ثقافة الحاضر وبنية الوعي .

إن السؤال الذي يتبادر في ضوء ما تقدّم هو : ما مدى قدرة القراءات المعاصرة على استثمار التراث للنهوض بأوضاع المجتمع اليمني وتغيير الواقع الثقافي والفكري والإجتماعي اليمني التقليدي ؟

في سياق وصف وتحليل الواقع الثقافي والفكري اليمني الراهن وعلى وجه الخصوص رصد التحوّلات في الوعي والقيم والممارسات. نجد أماننا مجتمعاً يعاني ٥٤% منه من الأمية الأبجدية. أي ما يقرب من ١٤ مليون نسمة - من مجموع أفراده البالغ عددهم ٢٥ مليون نسمة.(٨١)

ويقع المجتمع اليمني دون خط الفقر المعرفي . ليس في مجال البحث المعرفي والنشر بل - في مدى إنتشار الحاسوب- وإستخدام الإنترنت . أما فيما يرتبط بمؤشرات رأس المال المعرفي فإنه يحتل المرتبة العشرين بين ٢٢ دولة عربية . (٨٢) وعلى الرغم من إنتشار مظاهر التحديث المؤسسي والسياسي . إلا أن العصبية القبلية والمناطقية والمذهبية كمحدّات وموجّهات وعي لا زالت تهيمن على المجتمع اليمني ومؤسساته السياسية والثقافية والإدارية (٨٣).

ويشهد مؤشر الوعي القبلي وما يرتبط به من خيارات سلوكية وممارسات اجتماعية نمواً مضطرباً . وفي ظل خصائص هكذا وعي شهدت اليمن خلال الأربعة عقود الماضية ما يقرب من ٤٥٠ حرباً قُبلياً . (٨٤)

كما أن المؤشر يظل في حالة نمو لصالح الوعي الأصولي - المذهبي والذي انتقل في العشر السنوات الأخيرة الماضية من سياق الفكر إلى نطاق الواقع في صورة كيانات سياسية عسكرية ومليشيات مسلحة . (٨٥)

في حين تعاني قيم ومفاهيم مثل : التنوير ، العقلانية ، التفكير النقدي من ضعف القدرة على التجذير في الوعي والسلوك وإستماجها مجتمعياً (٨٦).

وفي إطار العلاقة التي تجمع بين القراءات المعاصرة ، وبين عملية استثمار التراث، فإن المؤشرات والمعطيات السابقة تكشف عن تعثر وفشل القراءات المعاصرة في استثمار التراث بإتجاه إحداث أدنى تغيير كفي في منظومة القيم والمفاهيم التقليدية

والوعي التقليدي بما يساعد على النهوض بأوضاع المجتمع اليمني وإعادة تشكيل وتغيير الواقع الثقافي والاجتماعي اليمني الراهن.

وهذا الفشل لا تتحمل مسئوليته القراءات المعاصرة وحدها. ولكن -تشارك معها عوامل ومعطيات- أخرى تصب جميعها في عنوان رئيس يتمثل في فشل مشروع الإصلاح والتحديث في الانتقال باليمن من طور الجمود والتخلف إلى طور النّقد والتغيير الاجتماعي .

خاتمة واستنتاجات :

ظّل الواقع الثقافي والفكري الاجتماعي اليمني وما يعانيه من مشكلات، وما يكتنفه من أزمت الدافع الرئيس للقراءات المعاصرة للتراث الفكري العربي الإسلامي في اليمن (القراءة المقارنة ، القراءة الإنتقائية)، للتوجه نحو التراث ومحاولة احياؤه واستثماره، في إطار ما تراه تلك القراءات من دور وفعالية خاصة للتراث في إعادة صياغة الوعي الفكري اليمني الراهن ، وما يمكن أن يستفاد منه في بناء الحاضر .

وكان لإختلاف مواقف تلك القراءات من ماهية وطبيعة الوعي المراد إعادة صياغته ، ومن طابع التغيير المطلوب إنجازه في الواقع . كان لذلك العامل الدور المؤثر والقوي في تغليب تلك القراءات للإستثمار الإيدلوجي لنصوص التراث على حساب الإستثمار العلمي الموضوعي. وبما ينسجم مع توجهاتها الفكرية وبما يخدم متطلبات القوى الفكرية والإجتما-سياسية التي تمثلها .

وبدلاً من أن تتجه تلك القراءات نحو مناهج تمتلك القدرة على إنتاج معرفه موضوعية لجأت إلى استخدام مناهج للقراءة عملت من خلالها على تأويل وتطويع نصوص التراث بصورة تخدم تلك الإهتمامات والمتطلبات .

ولقد كشفت النتائج المعرفية للقراءات المعاصرة للتراث الفكري العربي الإسلامي في اليمن (القراءة المقارنة ، القراءة الإنتقائية) عن أزمة تعيشها تلك القراءات على مستوى المنهج وعلى صعيد المواقف والتوجهات وأفصحت بدورها عن أزمة إنتاج معرفة موضوعية وتكوين وعي موضوعي بتراث وتاريخ اليمن الفكري .

وإذا كان الواقع اليمني ومحاوله تغييره والبحث في التراث عن ما يمكن أن يساعد بعملية التغيير هو دافع تلك القراءات. إلا أن المؤشرات المرتبطة بأشكال الوعي ومنظومة القيم والمفاهيم ومؤشرات رأس المال المعرفي تكشف أننا أمام مجتمع لا زالت تهيمن عليه مظاهر التخلف وفقاً للمؤشرات والمحكات الإجتماعيه والثقافيه المرتبطة بدراسة وتحليل ظاهرة التخلف .

من هنا فإنه في إطار العلاقة ما بين الماضي - التراث والحاضر - الأزمة فأنا بحاجة إلى مناهج علمية قادرة على إنتاج معرفة بتراث اليمن الفكري العربي الإسلامي. ومن بينها المنهج التاريخي ومنهج التحليل السوسولوجي . وبحاجة ايضاً إلى مشروع تاريخي حضاري للإصلاح والتحديث ينتقل بالمجتمع اليمني من مرحلة الأزمة والجمود إلى مرحلة الانفراج والنمو والتغير الإجتماعي .

المصادر والمراجع:

- ١) البردوني عبدالله (٢٠٠٨م): اليمن الجمهوري ، الطبعة السادسة ، صنعاء .
- ٢) ابن الامير الصنعاني (١٩٧٥م): تطهير الاعتقاد عن ادران الاحاد، تحقيق عبدالوهاب الديلمي، دار المعرفة ، القاهرة.
- ٣) ابن الامير الصنعاني : النشر الندي بحقيقة محمد بن عبدالوهاب النجدي، مجموع رسائل ابن الامير (مخطوط).
- ٤) ابن رسته (٢٠٠١م) : الاعلاق النفيسة ، تحقيق سالم هاشم ، بيروت.
- ٥) ابن خرداذبه (١٩٩٤م) : المسالك والممالك، تحقيق وتقديم احمد الصالحي، بيروت .
- ٦) ابن منظور ابو الفضل (١٩٩٧م) : لسان العرب ، دار الفكر ، بيروت.
- ٧) باشا أحمد فؤاد (١٩٩٠م) : الإتجاه العلمي عند الهمداني ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد (٥٧) ، بيروت .
- ٨) بلقرين عبدالله (٢٠١٣م) : سؤال التراث في الفكر العربي المعاصر، بحث في مجلة المستقبل العربي، العدد (٤٠٨) بيروت.
- ٩) جعيط هشام (٢٠٠٤م) : المعرفة في الوطن العربي مشكلة التراث الفكري، بحث في مجلة المستقبل العربي ، العدد (٣٠٧)، بيروت.
- ١٠) الجابري محمد عابد (٢٠٠٨م) : نحن والتراث قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، الطبعة الخامسة ، الدار البيضاء ، المغرب.
- ١١) الحبشي عبدالله (١٩٧٩م) : حكام اليمن المؤلفون المجتهدون، دار القرآن، بيروت.
- ١٢) حيدر عبدالرب علي (٢٠١٠م) : الهمداني ومنهجه التاريخي . الحضاري، بحث في مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة صنعاء، المجلد (٣٣)، العدد خاص الهمداني قراءات معاصرة، صنعاء.
- ١٣) خصبك شاكرا (٢٠١٠م) : مكانة الهمداني بين الجغرافيين العرب القدامى ، بحث في مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة صنعاء، المجلد (٣٣) الهمداني قراءات معاصرة، صنعاء.
- ١٤) الدوافع هيام هائل (٢٠٠٥م) : حركة نشر الكتب اليمنية ١٨٠٠ - ١٩٩٩م، مطبعة الميثاق ، صنعاء.
- ١٥) السبيطلي محمد (٢٠٠٧م) : شريعة السلطة وسلطة الشريعة بحث في كتاب المهاجر إلى هجر العلم، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية ، صنعاء.
- ١٦) السروري علي عبدالجبار (١٩٩٢م) : ابن الأمير حياته وفقهه ، صنعاء.
- ١٧) سعيد عبدالكريم قاسم (٢٠١٠م) : الفلسفة الطبيعية عند الهمداني، بحث في مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة صنعاء، المجلد (٣٣)، العدد خاص الهمداني قراءات معاصرة، صنعاء.
- ١٨) الشوكاني محمد بن علي (١٩٩٨م) : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين عبدالله العمري دار الفكر، دمشق.
- ١٩) الشوكاني محمد بن علي (١٩٩٨م) : ادب الطلب ومنتهى الارب ، تحقيق ودراسة عبدالله السريحي، صنعاء.
- ٢٠) شائف عبدالحكيم (٢٠١٠م) : مشاهدات اثوغرافية عند الهمداني، بحث في مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة صنعاء ، المجلد (٣٣) ، العدد خاص الهمداني قراءات معاصرة ، صنعاء .
- ٢١) الصلاحي فؤاد (٢٠١٣م) : مملكة السيد وجمهورية الشيخ. صراع الزعامات داخل القبيلة الزيدية، دراسة في صحيفة الشارع، العدد (٧٦) صنعاء .
- ٢٢) الصغيري محمود (١٩٨٦م) : الهمداني مصادرة وافاقة العلمية مركز الدراسات والبحوث صنعاء.
- ٢٣) صالح هاشم (٢٠٠٨م) : مخاضات الحداثة التنويرية، دار الطليعة ، بيروت.
- ٢٤) صبحي احمد محمود (١٩٨٤م) : الزيدية ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة.

- ٢٥) العمري اكرم (١٩٨٥م) : التراث والمعاصرة، الدوحة.
- ٢٦) العمري انتصار (٢٠٠١م) : حركة النشر في اليمن (١٩٩٥ - ٢٠٠٠م) دراسة ميدانية تحليلية للنشر والانتاج الفكري مكتبة عبادي للنشر صنعاء.
- ٢٧) العالم محمود (٢٠٠٣م) : نقد الخطاب الديني ، مكتبة مدبولي، القاهرة .
- ٢٨) علي بن علي هشام (٢٠٠٦م) : القاضي اسماعيل الاكوع وكتابه تاريخ اليمن الثقافي ، بحث في كتاب المهاجر إلى هجر العلم ، صنعاء.
- ٢٩) الغرازي عبدالله مشيب (٢٠٠٤م) : ابن الامير الصنعاني ومنهجه في كتابه سبل السلام ، جامعة صنعاء، صنعاء .
- ٣٠) غليس اشواق مهدي (٢٠٠٧م) : فكر الشوكاني السياسي وأثره المعاصر في اليمن، التجمع اليمني للإصلاح نموذجاً، دار عبادي للنشر صنعاء.
- ٣١) غلاب نجيب (٢٠١٠م) : لاهوت النخب القبلية : تقديس الشيخ ولعن الدولة ، دار بيسان ، بيروت.
- ٣٢) الفضلي عبدالله علي (٢٠٠٩م) : الانتاج الفكري اليمني المنشور، بحث ودراسات وتحليلات بيلومترية، دار جامعة صنعاء، صنعاء.
- ٣٣) المقالح عبدالعزيز (٢٠١٤م) : قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة، الطبعة الثالثة ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء.
- ٣٤) المأخذي احمد علي (٢٠٠٩م) : معالم التجديد في علم أصول الفقه عند فقهاء اليمن ، بحث في مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة صنعاء، العدد (٥) ، صنعاء.
- ٣٥) المقبل صالح بن مهدي (١٩٨٥م) : العلم الشامخ في ايثار الحق على الآباء والمشائخ، ط٢، دار الحديث ، القاهرة.
- ٣٦) مروة حسين (٢٠١٢م) : النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، ط٦، بيروت.
- ٣٧) مصطفى بشير (٢٠٠٤م) : مؤشرات المعرفة في الوطن العربي ، ملف احصائي ، مجلة المستقبل العربي ، العدد (٣٠٤)، بيروت.
- ٣٨) الهمداني ابو محمد الحسن (٢٠٠٣م) : الجوهرتين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء ، تحقيق وتقديم كريستوفر تول ، مكتبة الارشاد ، صنعاء.
- ٣٩) الهمداني ابو محمد الحسن (٢٠٠٨م) : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، ط٢، مكتبة الارشاد، صنعاء.
- ٤٠) وقيدي محمد (١٩٩٠م) : بناء النظرية الفلسفية دراسات في الفلسفة العربية المعاصرة ، بيروت.

المراجع باللغة الانجليزية:

- 1) Thomas Goldsteien : Down of Modern Science, from the ancient Greeks to the renaissance . Dacapo Press, New York 1995.
- 2) Brinkley Messick: the Calligraphic State, Textual domination and History in a Muslim society , Berkeley university at cal. Press, 1993.
- 3) Toll, Christopher : AL – Hamdani as a Scholar. Publications of Sanaa University , (1986)
- 4) Beeston, A,F,L : Hamdani and Tababiah. Publications of Sanaa University , (1986).

التقارير والوثائق:

- مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية (٢٠١٠م) ، المجلس الأعلى لتخطيط التعليم ، صنعاء .
- تقرير التنمية البشرية الخاص بالجمهورية اليمنية لعام ، ٢٠١٠م ، برنامج الأمم المتحدة الانمائي.

الهوامش :

- (١) عبدالله علي الفضلي : الانتاج الفكري اليمني المنشور بحوث ودراسات وتحليلات بيلومترية ، دار جامعة صنعاء ، صنعاء ، ٢٠٠٩م ، صص (٥٤-٦١) .
- (٢) يشكل كتاب (صفة جزيرة العرب) للمفكر اليمني ابو الحسن محمد الهمداني (٨٩٣ - ٩٧٠م) والذي قام بتحقيقه ونشره المستشرق النمساوي أمولر ما بين سنة (١٨٨٤-١٨٩٥م) بدايات الإهتمام والاكتشاف العلمي للتراث الفكري اليمني من قبل الاستشراق الاوروبي.
- ولقد جاء اهتمام المستشرقين الأوروبيين بكتابات الهمداني نظراً لما تحتويه من معلومات ذات صلة بأثار وحضارة اليمن القديم . وكانت بالنسبة لهم بمثابة الدليل او البوصلة أثناء زياراتهم للمناطق والمدن اليمنية الغنية بالآثار مثل: صرواح مأرب، الجوف، شبوة. وكان ذلك في عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن التاسع عشر الميلادي. وتوالى بعدها الزيارات للبعثات الأوروبية والأمريكية، وظهرت الدراسات والتحقيقات المتصلة بتاريخ وحضارة وتراث اليمن.
- (٣) ابو الفضل ابن منظور: لسان العرب ، دار الفكر، بيروت ، ١٩٩٧م ، صص (٤٩٥) .
- (٤) اكرم العمري: التراث والمعاصرة، الدوحة، ١٩٨٥، صص (٢-٧) .
- (٥) هشام جعيط: المعرفة في الوطن العربي: مشكلة التراث الفكري ، بحث في مجلة المستقبل العربي، العدد (٣٠٧) - بيروت ، ٢٠٠٤م ، صص (١٠٢-١٠٣) .
- (٦) هشام جعيط: المصدر نفسه ، صص (١٠٣) .
- (٧) هشام علي بن علي: القاضي اسماعيل الاكوع وكتابة تاريخ اليمن الثقافي بحث في كتاب (المهاجر إلى هجر العلم في اليمن) ، صنعاء ، ٢٠٠٦م صص (٣٨٢) .
- (٨) ولد ابو الحسن محمد الهمداني في مدينة صنعاء سنة ٨٩٣م. واشتهر بين المؤرخين بلقب لسان اليمن وعالمها الموسوعي الشامل . من مؤلفاته كتاب الاكليل و كتاب الجوهريتين وصفة جزيرة العرب وسرائر الحكمة وشرح قصيدة (الدامغة) . ولقد حظيت شخصيته فضلاً عن اعماله الفكرية بإهتمام واسع . حيث عقدت الندوات والمؤتمرات العلمية الدولية لاهياء ودراسة تراثه وتعددت التحقيقات والابحاث والرسائل العلمية التي غطت جوانب مختلفة من انتاجه المعرفي المتوزع على علوم الجغرافيا والتاريخ والفلسفة وعلم الانساب والعلوم الطبيعية . توفي في مدينة ريد عام ٩٧٠م.
- (٩) علم من أعلام الفكر والاجتهاد في اليمن. ولد عام ١٦٣٧م بقرية المقبل ، مديرية ثلا شمال صنعاء. له الكثير من المؤلفات والابحاث والرسائل . ومن اشهر كتبه (العلم الشامخ) والذي حث فيه على الإجتهد ونبيذ التقليد . كما اشتهر من مؤلفاته (حاشية المنار) ويعد كتاب (الأبحاث المسددة في فنون متعددة) من أهم كتبه التي ضمنها اراءه واجتهاداته في علوم التفسير والحديث واصول الفقه. توفي بمكة عام ١٦٩٦م .

١٠) من علماء ومفكري اليمن البارزين ولقد وصل إلى مرتبة الاجتهاد المطلق . ولد عام ١٦٠٤م بقرية زعافة بالقرب من مدينة صعدة . ومن أبرز مؤلفاته التي تميزت بالتجديد والأصالة في علم اصول الفقه كتاب (نظام الاصول) وله الكثير من الحواشي والشروح : ومنها حاشية (شرح القلائد) و (شرح التهذيب) في المنطق ، (والعصمة من الضلال) في اصول الدين . بالإضافة إلى عشرات الرسائل ولقنات توفي بصنعاء ١٦٧٣م .

١١) المفكر المجدد محمد ابن الامير ، ولد عام ١٦٨٨م بمدينة كحلان محافظة حجة وبعد احد اعلام الفكر الاسلامي في العصر الحديث . له من المؤلفات ما يقرب من مائتين وخمسة وعشرين مؤلفاً في علوم الفقه والحديث والتفسير والتاريخ والفلسفة والمنطق ولقد وصل إلى مرتبة الاجتهاد المطلق . توفي عام ١٧٦٩م .

١٢) ولد الامام محمد بن علي الشوكاني بمدينة صنعاء عام ١٧٦٠م وينحدر من اسرة تنتمي إلى فئة القضاة . ولقد حظيت شخصية الشوكاني واعماله الفكرية باهتمام واسع سواء اثناء حياته او بعد وفاته . حيث تعددت التحقيقات والدراسات والرسائل العلمية التي غطت جوانب مختلفة من فكره . ولقد بلغت مصنفاته العلمية في مختلف العلوم والمعارف نحو مائة وثمانون مصنفاً علمياً . توفي بمدينة صنعاء عام ١٨٣٤م .

١٣) يعود العامل الرئيس إلى أن المذهب الزيدي الهادي لم يغلق باب الاجتهاد مقارنة ببقية المذاهب الاسلامية . لذلك ظلت الحياة الثقافية والفكرية في اليمن مزدهرة . وفي عصر تدهور الفكر الإسلامي انجبت اليمن مفكرين كبار امثال الامام المجدد محمد بن علي الشوكاني (١٧٦٠-١٨٣٤م) محمد بن الامير الصنعاني (١٦٨٨ - ١٧٦٩م) صالح بن مهدي المقبل (١٦٣٧ - ١٦٩٦م) . كما كان لإشتراط المذهب الزيدي في أن يكون الامام قد بلغ مرتبة الاجتهاد الدافع القوي والمستدام في نمو وتطور الحركة الفكرية والثقافية اليمنية .

للمزيد حول الموضوع أنظر :

- حسين العمري: مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٤م .
- عبدالله الحبشي: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء ١٩٨٢م .
- اسماعيل بن علي الاكوع : هجر العلم ومعاقله في اليمن ، بيروت ، ١٩٩٥م .
- ١٤) محمد وقيدي: بناء النظرية الفلسفية ، بيروت ، ١٩٩٠م ، ص(١٨٧) .
- ١٥) حسين مروة : النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية، ط٦ - بيروت ، ٢٠١٢م ، ص (٧٣) .
- ١٦) عبدالاله بلقزيز: سؤال التراث في الفكر العربي المعاصر، بحث في مجلة المستقبل العربي، العدد ٤٠٨ ، بيروت ، ٢٠١٣م ، ص(١٥٠) .
- ١٧) عبدالاله بلقزيز : المصدر نفسه : ص(١٥٥) .
- ١٨) عبدالله البردوني: اليمن الجمهوري: ط٦، صنعاء ، ٢٠٠٨م ، ص(٣٠٦) .
- ١٩) زيد بن علي الفضيل: الدور الثقافي لدولة الائمة باليمن في العصر الحديث " قراءة استعراضية " بحث في مجلة الكلمة العدد ٥٧ ، بيروت ٢٠٠٧م ، ص(١٣٠) .
- ٢٠) هشام علي : القاضي اسماعيل الاكوع وكتابه تاريخ اليمن الثقافي: مصدر سابق، ص (٣٧٨) .
- ٢١) هشام علي : المصدر نفسه : ص (٣٨٠) .
- ٢٢) Brinkley Messick: The Calligraphic State. Textual Domination and History in a Muslim Society Berkeley, U. of Cal. Press. 1993. P (42).

- (٢٣) يعد الباحث اليمني محمد علي الأكوع (١٩٠٣-١٩٩٨م) من أوائل الباحثين الذين قاموا بتحقيق ودراسة نصوص التراث الفكري اليمني وعلى وجه الخصوص تراث أبو الحسن الهمداني وذلك في العقد السادس من القرن المنصرم .
- (٢٤) انتصار العمري: حركة النشر في اليمن ١٩٩٥ - ٢٠٠٠، دراسة ميدانية تحليلية للنشر والانتاج ، صنعاء ٢٠٠١م ، ص (٦٢) .
- (٢٥) من بين المعاهد الاجنبية المتخصصة في الدراسات والنشر المتعلق بتاريخ وتراث اليمن الثقافي والفكري :
- المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية ، صنعاء .
 - المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية ، صنعاء .
- (٢٦) عبدالاله بلقزيز : سو آل التراث، مصدر سابق، ص ص (١٤٦ - ١٤٧) .
- (٢٧) هشام علي : القاضي اسماعيل الاكوع، مصدر سابق ، ص(٣٧٧) .
- (٢٨) من أبرز الباحثين الذين اتخذت علاقتهم المعرفية بالتراث طابع الاحياء الشامل لما أنتجه علماء ومفكري اليمن في مختلف ميادين التراث ولديهم دراسات وتحقيقات وكتابات متنوعة أثرت المكتبة اليمنية والعربية : عبدالله الحبشي، اسماعيل الاكوع، حسين العمري .
- (٢٩) محمد عابد الجابري :نحن والتراث ، قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي ، ط١/ المغرب ، ١٩٨٠م ، ص(١١) .
- (٣٠) محمود أمين العالم: نقد الخطاب الديني ، ط٤، مكتبة مدبولي القاهرة ، ٢٠٠٣م ص ص(١٤٢ - ١٤٣) .
- (٣١) محمد وقيدي: بناء النظرية الفلسفية ، مصدر سابق، ص(١٩٠) .
- (٣٢) محمد وقيدي: المصدر نفسه ، ص(١٩٢) .
- (٣٣) احمد فؤاد باشا : الإتجاه العلمي عند الهمداني ، مجلة المسلم المعاصر ، العدد (٥٧) ، أكتوبر ١٩٩٠م ، بيروت ص (١٢) .
- (٣٤) عبدالرب علي حيدر: الهمداني ومنهجه التاريخي الحضاري ، بحث في مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة صنعاء ، عدد خاص ، ٢٠١٠م ، ص (٤٢٤) .
- (٣٥) محمود ابراهيم الصغيري: الهمداني مصادرة وآفاقه العلمية ، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء ، ١٩٨٦م ، ص (٤٨) .
- (٣٦) محمود الصغيري: المصدر نفسه ، ص ص (٥١ - ٥٢) .
- (٣٧) ابو محمد الحسن الهمداني : الجوهريين العتيقتين المائعتين من الصفراء والبيضاء ، تحقيق وتقديم كريستوفر تول، مكتبة الارشاد، صنعاء، ٢٠٠٣م ، ص (٣٠) .
- (٣٨) عبدالرب علي حيدر: الهمداني ومنهجه التاريخي - الحضاري، مصدر سابق ص (٤٢٤) .
- (٣٩) Thomas goldsteien: Hown of Madern Science, From the Ancient Qreeks to the Renaissance. Papo press, Newyork,1995,p68.
- (٤٠) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، تحقيق وتقديم احمد الصالحي، بيروت ١٩٩٤م ، ص (٧٢) .
- (٤١) ابن رسته: الاعلاق النفيسة، تحقيق سالم هاشم، بيروت، ٢٠٠١م ، ص(٥٦) .
- (٤٢) هاشم صالح: مخاضات الحداثة التنويرية ، بيروت ، ٢٠٠٨م ، ص(٣٩) .
- (٤٣) هاشم صالح : المصدر نفسه، ص (٤٣) .

- ٤٤) ابو محمد الحسن الهمداني: الإكليل ، الجزء الثامن، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، صنعاء ، ٢٠٠٤م (١٣٥) .
- ٤٥) احمد فؤاد باشا : الإتجاه العلمي عند الهمداني ، مصدر سابق ، ص (١٦) .
- ٤٦) محمود صغيري: الهمداني : مصادره ، مصدر سابق ، ص ص (٥١ - ٥٢) .
- ٤٧) محمد عابد الجابري: نحن والتراث ...، مصدر سابق ، ص (٥٣) .
- ٤٨) ابو محمد الحسن الهمداني: الجوهريتين العتيقتين ، مصدر سابق ، ص (١٠٩) .
- ٤٩) احمد فؤاد باشا: الإتجاه العلمي عند الهمداني ، مصدر سابق ، ص (١٦) .
- ٥٠) محمود صغيري: الهمداني : مصادره ، مصدر سابق ، ص ص (٥١ - ٥٢) .
- ٥١) عبدالكريم قاسم سعيد: الفلسفة الطبيعية عند الهمداني، بحث في مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة صنعاء، عدد خاص الهمداني قراءات معاصرة ، صنعاء ، ٢٠١٠م ، ص (٨٧) .
- ٥٢) عبدالحكيم شائف: مشاهدات اثوغرافية عند الهمداني ، بحث في مجلة كلية الاداب والعلوم الانسانية ، جامعة صنعاء، المجلد ٣٣ عدد خاص الهمداني قراءات معاصرة ، صنعاء، ٢٠١٠م ، ص (١٢١) .
- ٥٣) المصدر نفسه ، ص (١٤٥) .
- ٥٤) المصدر نفسه، ص (١٤٦) .
- ٥٥) شاكر خصباك : مكانة الهمداني بين الجغرافيين العرب القدامى ، بحث في مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية جامعة صنعاء ، مصدر سابق ، ص (٣٢٩) .
- ٥٦) المصدر نفسه ، ص (٣٢٨) .
- ٥٧) يتوجه هذا الشكل من القراءة نحو إبراز الجوانب المثالية في تراث ارسطو وطمس الجوانب المادية ويهدف تحويل المثالية كاتجاه أساسي في فلسفة ارسطو بالمقابل هناك من يتجه في إبراز الجوانب المادية وطمس وتحريف الجوانب المثالية ويهدف تحويل الاتجاه الأساس في فلسفة ارسطو من الاتجاه المثالي إلى الاتجاه المادي الصرف . وهنا نجد انفسنا أمام شكلين معرفيين مختلفين من المعرفة تتعلق بتحديد الاتجاه الفلسفي الأساس في فلسفة ارسطو .
- حول الموضوع يمكن الرجوع هنا إلى مثالين :
- عبدالرحمن بدوي : ارسطو ، مكتبة النهضة ، القاهرة ، ١٩٦٤م.
- طيب تيزني : مشروع رؤية جديدة للفكر العربي في العصر الوسيط ، دار دمشق ١٩٧١م.
- ٥٨) اشواق مهدي غليس: فكر الشوكاني السياسي واثره المعاصر في اليمن. التجمع اليمني للإصلاح نموذجاً صنعاء ، ٢٠٠٧م ، ص (٩) .
- ٥٩) عبدالعزيز المقالح: قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة ، صنعاء ٢٠١٠م ، ص (١١) .
- ٦٠) عبدالله مشيب الفزازي: ابن الامير الصنعاني ومنهجه في كتابة سبل السلام صنعاء ، ٢٠٠٤م ، .
- ٦١) عبدالله مشيب الفزازي: المصدر نفسه ، ص (١٠٧) .
- ٦٢) المصدر نفسه ، ص ص (١٠٢-١٠٧) .
- ٦٣) من تلك القراءات:
- احمد العلمي : الصنعاني وكتابه توضيح الافكار ، صنعاء ، ١٩٩٢م .

- علي عبدالجبار السروري : ابن الامير الصنعاني حياته وفقهه ، صنعاء ، ١٩٩٠م .
- (٦٤) عبدالله الغرازي / ابن الأمير ، مصدر سابق ، ص (١١٧) .
- (٦٥) تكشف مراسلات ابن الامير لعدد من الائمة في عصره ، ومواقفه وادواره انها لم تكن تخرج من نطاق قواعد وشروط نظرية الحكم في المذهب الزيدي الهادي . وعبرت عن التزام فكري وعملي واضح من قبله بتلك القواعد . وهذا ما يثبت زيديته السياسية من جهة ، وزيديته الفقهية المنطلقة من قواعد وشروط نظرية الحكم في المذهب الزيدي الهادي من جهة ثانية . في هذا السياق نشير إلى مواقفه وأدواره في وقف القتال الدائر بين الامام المتوكل القاسم بن الحسين والمؤيد بن محمد والاصلاح بينهما . وبين الامام المهدي عباس وعمه الامير محمد المتوكل ، وبين الامام المنصور حسين واخيه احمد .
- إن تلك المواقف والادوار لا تلغي مواقفه وادواره الاخرى التي تميز بها والمتمثلة بنقده لكل صور الفساد واشكال الظلم في الدولة والمجتمع وهو ما افضى إلى مواجهته لبعض ائمة عصره واصطدامه بالتيار المتشدد في المذهب الزيدي الهادي .
- مزيد من المعلومات حول الموضوع أنظر :
- محمد السبيطي : شريعة السلطة وسلطة الشريعة بحث في كتاب المهاجر إلى شجر العلم، صنعاء، ٢٠٠٧م، ص ص (٣٠٩ - ٣١٠) .
- (٦٦) من بين هؤلاء الائمة العلماء على سبيل المثال لا الحصر: الامام المهدي احمد بن يحيى ، الامام يحيى بن حمزة العلوي ، عبدالله بن حمزة ، يحيى بن المحسن بن محفوظ ، الحسن بن محمد الرصاص ، حازم الدين بن ابراهيم الوزير ، وهناك (٤٣) حاكماً مجتهداً حكموا اليمن خلال فترة محددة تبتدئ من القرن الثالث الهجري وتنتهي بالقرن التاسع .
- للمزيد حول الموضوع أنظر :
- عبدالله الحبشي: حكام اليمن المؤلفون المجتهدون ، دار القرآن، بيروت ، ١٩٧٩م .
- (٦٧) احمد علي المأخذي: معالم التجديد في علم اصول الفقه عند فقهاء اليمن بحث في مجلة العلوم الاجتماعية والانسانية ، جامعة صنعاء، عدد (٥) ، صنعاء ، ٢٠٠٩م ، ص(٧) .
- (٦٨) لتحديد موقع الكتاب الكريم والسنة النبوية في المذهب الزيدي الهادي ولدى علماء الزيدية وفي التاريخ الفكري والفقهى للدولة الزيدية فإننا نورد النص التالي للامام المجدد الشوكاني (١٧٦٠ - ١٨٣٤م) والذي يقول فيه: فإن في ديارنا الزيدية من ائمة الكتاب والسنة عدد يجاوز الوصف يتقيدون بالعمل بنصوص الادلة ويعتمدون على ما ضح من الأمهات الحديثية ولا يرفعون إلى التقليد رأساً.. بل هم على نمط السلف الصالح من العمل بما يدل عليه كتاب الله وما صح من سنة رسول الله... ولو لم يكن لهم من مزية الا التقيد بنصوص الكتاب والسنة وطرح التقليد فإن هذه الخصيصة خص بها الله أهل هذه الديار ولا توجد في غيرهم الا نادراً .
- محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق د. حسين عبدالله العمري ، دمشق، دار الفكر، ١٩٩٨م ، ص (٨٣) .
- (٦٩) محمد بن علي الشوكاني: ادب الطلب ومنتهى الأرب ، تحقيق ودراسة عبدالله السريحي ، صنعاء ، ١٩٩٨م ، ص (٦٧) .
- (٧٠) محمد بن اسماعيل الامير: النشر الندي بحقيقة محمد بن عبد الوهاب النجدي ضمن مجموع رسائل ابن الامير مخطوط ، ص (٢٥) .
- (٧١) عبدالعزيز المقالح: قراءة في فكر الزيدية والمعتزلة ، مصدر سابق، ص (٦٤) .
- (٧٢) المصدر نفسه ، ص (٧٢) .
- (٧٣) المصدر نفسه ، ص (٦٧) .

- (٧٤) احمد محمود صبحي: الزيدية ، ط٢، مطبعة ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص (٥٧) .
- (٧٥) محمد بن علي الشوكاني : ادب الطلب...، مصدر سابق، ص (١٩٩) .
- (٧٦) المصدر نفسه، ص (١٩٨) .
- (٧٧) احمد محمود صبحي: الزيدية ، مصدر سابق ، ص (٥٧٣) .
- (٧٨) من هذه الدراسات الإستشراقية الآتي :
- Toll, Christopher : AL – Hamdani as a Scholar. Publications of Sanaa UNV . (1986)
- Beeston, A,F,L : Hamdani and Tababiah. Publications of Sanaa UNV . (1986)
- (٧٩) عبدالعزيز المقالح: قراءة في فكر الزيدية المعتزلة ، مصدر سابق، ص (١١) .
- (٨٠) اشواق مهدي غليس : فكر الشوكاني السياسي.. مصدر سابق ص () .
- (٨١) مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية ، المجلس الأعلى لتخطيط التعليم ، صنعاء، ٢٠١٠م ، ص (٦٢) .
- (٨٢) بشير مصطفى : مؤشرات المعرفة في الوطن العربي، ملف احصائي مملكة المستقبل العربي، العدد ٣٠٤ ، بيروت ، ص (٨٦) .
- (٨٣) فؤاد الصلاحي : مملكة السيدة جمهورية الشيخ: صراع الزعامات داخل القبيلة الزيدية . دراسة في صحيفة الشارع العدد (٧٦١) ، صنعاء ٢٠١٣م ، ص (١٣) .
- (٨٤) المصدر السابق ، الصفحة نفسها .
- (٨٥) نجيب غلاب : لاهوت النخب القبلية : تقديس الشيخ ولعن الدولة ، بيروت ، ٢٠١٠م ص ص (٢٠-٢١) .
- (٨٦) المصدر السابق ، ص (٩٨) .